الحجّة الثّانية: ما روي أنّ عائشة قالت إعتمرت مع رسول اللّه ﷺ من المدينة الىٰ مكّة فلمّا قدمتُ مكّة قلت يا رسول اللّـه بأبـي أنت وأُمّـي قصرت وأتمّمت وصمت و أفطرتُ فقال أحسنت يا عائشة و ما عاب عَلّي وكان عثمان يتّم ويقصر و ما ظهر إنكار من الصّحابة عليه،

الحجّة الثّالثة: أنّ جميع رخص السّفر شرعت علىٰ سبيل التّـجويز لا على سبيل التّعيين جَزماً فكذا هاهنا هذا ما ذكره الرّازي في تأيـيد مـذهب الشّافعي.

و أمّا أبو حنيفة و مالك وكثير من العامّة فـقد قـالوا بـالعزيمة و إحـتجّوا بأحاديثٍ رووه في الباب.

ما روى عمر أنّ الرّسول ﷺ قال فيه صدقةُ تصدق اللّه بها عليكم فأقبلوا صَدَقته وظاهر الأمر للوجوب.

ما عن ابن عـبّاس قـال كـان النّـبي ﷺ اذا خـرج مسـافراً صـلّىٰ ركعتين.

قال الرّازي بعد نقله ما نقلناه، والجواب أنّ هذه الأحاديث تدّل على كون القصر مشروعاً و جائزاً إلاّ أنّ الكلام في أنّه هل يجوز غيره و لمّا دلّ لفظ القرأن على جواز غيره كان القول به أولى انتهىٰ.

أقول دلالة لفظ القرأن علىٰ الجواز أوّل الكلام مضافاً الىٰ أنّ القرأن يفسّر بالسنّة وتفصيل الكلام فيه موكولٌ الىٰ محلّه.

وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ

لمّا بيّن في الآيـة السّابقة أنّ الضّاربين فـي الأض لا جـناح عـليهم فـي تقصيرهم الصّلاة اذا خافوا علىٰ أنفسهم من فِتنة الكفّار على ما مرّ البحث فيه بيّن في هذه الآية تكليفهم في الصّلاة اذا كان الرّسول معهم و أرادوا الصّـلاة

معه ﷺ أي وجود الرّسول والصّلاة معه في هذه الآية و عدمه معهم في السّابقة هو الفرق بين الأيتين فلا تكرار فيها فقال تعالىٰ: **وَ إِذَا كُنْتَ** و المخاطب هو الرّسول **فِيهِمْ** أي في جمع الضّاربين في الأرض ؤ **فَأَقَمْتَ** أيّها النّبي **لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ**) بجماعةٍ و قيل معناه أتـمَّمت لهـم الصّـلاة بـحدودها و ركوعها و سجودها ولم تقصرها القصر الّذي يجب في صلاة شدّة الخوف من الإقتصار على الإيماء مثلاً وأو الإكتفاء بركعةٍ ركعة **فَلْتَقُمْ** الى الصّلاة **طَآئِفَةٌ** جماعة منهم، أي من الضّاربين الخائفين **مَعَكَ** أي في الإقتداء بك و أداء الصّلاة معك **وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ** المراد بالسّلاح السّيف الّذي يتقلّد به و الخنجر يشدّه الى درعه وكذلك السّكين و نحو ذلك من سلاحه و أمّا الفرقة المأمورة بأخذ السّلاح فقيل هي المصلّية مع رسول اللّه و قال ابن عبّاس أنّ الطّائفة المأمورة بأخذ السّلاح هي التّي بأزاء العدّو دون المصلّية **فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَآئِكُمْ** أي اذا سجدت الطّائفة التّي قامت معك مصلّية بصلاتك و فرغت من سجودها، فليكونوا من وراءكم، أي فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافّين للعدّو هذا علىٰ مذاق القوم.

و أمّا عندنا فأنّهم يحتاجون أن يتّموا صلاتهم ركعتين والإمام قائم في الثّانية ثمّ ينصرفون الى موضع أصحابهم ويجيئ الأخرون فيستفتحون الصّلاة فيصلّي بهم الإمام الرّكعة الثّانية و يطيل تشهده حتّي يقوموا فيصلّوا بقيّة صلاتهم ثمّ يسلّم بهم الإمام والىٰ هذا أشار بقوله: **وَ لْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ** و هذا كما قرّر في الطّائفة الأُولىٰ.

و أمّا من قال أنّ صلاة الخائف ركعة لا غيرها، قال أنّ الطّائفة الأُولىٰ اذا صلَّت ركعة فقد فَرغت وكذلك الثّانية و قد روي ذلك أبو الجارود عن أبي جعفر ورواه مسلمة عن أبي عبد اللّه عليه السلام.

قال الشّيخ تِتِرُّ في التّبيان بعد نقله ما نقلناه عنه، و هذا عندنا أنّما يجوز في صلاة شدّة الخوف و فى النّاس من قال أنّ النّبي يسلم بها ثمّ يقومون فيصلّون تمام صلاتهم و قد بيَّنا إختلاف الفقهاء في ذلك في مسائل الخلاف في صلاة الخوف انتهىٰ كلامه.

و أمّا العامّة فقد قالوا في صلاة الخوف غير ما ذكرناه قال الرّازي في تفسيره لهذه الآية.

المسألة الثّانية: شرح صلاة الخوف هو أنّ الإمام يجعل القوم طائفتين و يُصلّي بهم ركعة واحدة ثمّ اذا فرغوا من الرّكعة فكيف يصنعون فيه أقوال:

الأوّل: أنّ تلك الطّائفة يسلّمون من الرّكعة الواحدة و يذهبون الىٰ وَجه العدّو و تأتي الطّائفة الأخرىٰ و يصلّي بهم الإمام ركعة أخرىٰ و يسلّم مذهب من يرى أنّ صلاة الخوف للإمام ركعتان وللقوم ركعة و هذا مرّوي عن ابن عبّاس و مجاهد و جابر بن عبد اللّه.

الثّاني: أنّ الإمام يصلّي بتلك الطّائفة ركعتين و يسلّم ثمّ تذهب تلك الطّائفة الى وجه العدّو وتأتي الطّائفة الأخرى فيصلّي الإمام بهم مرّةً أُخرىٰ ركعتين و هذا قول الحَسن البَصرى.

الثّالث: أن يصلّي الإمام مع الطّائفة الأولى ركعةً تامّة ثمّ يبقىٰ الإمام قائماً في الرّكعة الثّانية الىٰ أن تصلّي هذه الطّائفة ركعةً أخرىٰ و يتشهّد و يسلّمون و يذهبون الىٰ وجه العدّو ثمّ تأتي الطّائفة الثّانية و يصلّون مع الإمام قائماً في الرّكعة الثّانية ركعةً ثمّ يجلس الإمام في التّشهد الىٰ أن تصلّي الطّائفة الثّانية الرّكعة الثّانية ثمّ يسلّم الإمام بهم و هذا قول سهل ابن أبي حثمة ومذهب الشّافعى.

الرّابع: أنّ الطّائفة الأولى يصلّي الإمام بهم ركعة و يعودون الى وجه العدّو و تأتي الطّائفة الثّانية فيصلّي بهم بقيّة الصّلاة و ينصرفُون الىٰ وجه العدّو ثمّ تعود الطّائفة الأولى فيقضون بقيّة صلاتهم بقراءة و ينصرفون الىٰ وجه العدّو

ثمّ تعود الطّائفة الثّانية فيقضون بقيّة صلاتهم بقراءة و الفرق أنّأ الطّائفة الأُولىٰ أدركت أوّل الصّلاة و هم في حكم من خلف الإمام.

و أمّا الثّانية: فلم تدرك أوّل الصّلاة والمسبُوق فيما يقضي كالمنفرد في صلاته و هذا قول عبد اللّه بن مسعود و مذهب أبي حنيفة ثمّ قال الرّازي و أعلم أنّه وردت الرّوايات المختلفة بهذه الصّلاة فلعلّه صلى الله عليه وآله صلّى بهم هذه الصَّلاة في أوقات مختلفة بحسب المصلحة و أنّما وقع الإختلاف بين الفقهاء في أنّ الأفضل والأشّد موافقةً لظاهر الآية أيّ هذه الأقسام انتهىٰ كلام الرّازي.

أقُول فهذه هي الوجوه التّي، ذكروها في كيفيّة هذه الصّلاة و ما ذكرناه نقلاً عن الشّيخ في التّبيان هو المعتمد في مذهبنا وبه نأخذ واللّه أعلم.

وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً فمعناه أنّ الكفّار يوّدون و يتمنّون لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم، بإشتغالكم عن أخذِها تأهبّاً للقتال أن يميلوا عليكم، اي يحملوا عليكم ميلةً واحدة، أي حملةً واحدة و يصيبوا منك غرّةً فيقتلوكم و المقصود لا تشاغلوا بأجمعكم بالصّلاة عند مواقفة العدّو فتمكّنوا عدّوكم من أنفسكم و أسلحتكم و لكن أقيموها على ما بيّنت و خذوا حذركم بأخذ السّلاح قالوا و من عادة العرب أن يقولوا لنا عليهم بمعنى حملنا عليهم قال العبّاس بن عبادة الأنصاري لرسول اللّه صلى الله عليه وآله ليلة العقبة الثّانية والذّي بعثك بالحقّ إن شئت لنميلنّ غداً علىٰ أهل منى بأسيافنا فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لم نؤمر بذلك في ذلك الوقت **وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً** أي لاجرم عليكم و لا إثم إن نالكم الأذىٰ من مطرٍ و أنتم مواقفوا عدّوكم أو كنتم مرضى أو جرحى أن تضعوا أسلحتكم اذا ضعفتم عن حملها لكن اذا وضعتموها، فخذوا حذركم، أي إحترسوا من العدّو ولئلاً يميلوا و يحملوا

عليكم و أنتم غافلون أي واظبوا جانب الإحتياط و لا تكونوا غافلين عن مكر الأعداء و أعلموا أنّ اللّه أعدَّ و هيَّأ للكافرين عذاباً مهيناً مذِلاً يبقون فيه أبداً.

إعلم أنّه يستفاد من الآية وجوب الحذر عن العَدْو علىٰ كلّ حالٍ لقوله: **وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ** و قوله في أخرها: **خُذُوا حِذْرَكُمْ** والأمر للوجوب خصوصاً اذا إنضمت اليه القرائن العقّلية و ما نحن فيه من هذا القبيل وكلّ موردٍ كان كذلك فهو كذلك و اذا كان الحذر عن الخطر واجباً فحكم الأمثال واحد فيجب الحذر في كلّ موردٌ يحكم العقل بالخطر قطعاً أوظنّاً فأنّ الدّفع في الضّرر المحتمل واجب عقلاً فضلاً عن الضّررالمقطوع به و عليه فالإقدام علىٰ العلاة بالدّواء والعلاج باليد و الإحتراز عن الجلوس تحت الجدار المائل و أمثال ذلك من المضّار المظنونة واجبة عقلاً وشرعاً و هو المطلوب.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا

المراد بالقضاء هنا الفراغ أي اذا فرغتم أيّها المؤمنون المجاهدون من صلاتكم التّي بيّناها لكم أعني صلاة الخوف مع الرّسول أو بدونه و أنتم مواقفوا عدوّكم، فأذكروا اللّه قياماً و قعوداً و على جنوبكم أي فأذكروا اللّه في حال قيامكم وحال قعودكم و مضطجعين على جنوبكم، والمراد بالذّكر في المقام الدّعاء و التوجّه الىٰ اللّه أي أدعوا اللّه لأنفسكم بالظّفر علىٰ عدّوكم لعلّ اللّه أن يظفركم بهم و ينصركم عليهم و هو كقوله تعالىٰ: **يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**(١) و قيل أنّ المراد بالذّكر هنا الصّلاة والمعنىٰ صلّوا قياماً حال إشتغالكم بالمسابقة والمقارعة، و

١- الأنفال =٤٥

قعوداً حال إشتغالكم بالرَّمي، و على جنوبكم حال ما تكثر الجراحات فيكم فيسقطون على الأرض، فاذا إطمأننتم عن العدّو حين تضع الحرب أوزارها، فأقيموا الصّلاة، إختلفوا في تأويله فقال بعضهم أي اذا إستقرتم في أوطانكم و أقمتم في أمصاركم، فأقيمُوا الصّلاة، أي أتمّوا التّي أذن لكم في قصرها في حال خوفكم و سفركم و ضربكم في الأرض ذهب اليه مجاهد و قتادة.

و قال أخرون معناه اذا إستقررتم بزوال الخَوف من عدّوكم و حدوث الأمن لكم، فأقيمُوا الصّلاة، أي فأتمّوا حدودها بركوعها و سجُودها ذهب اليه السّدي و ابن زيد و هو إختيار الجبائي والبلخي والطّبري، و قال الرّازي في قوله: **فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ** أي فأقضوا ما صلّيتم في حال المسابقة هذا ظاهر علىٰ مذهب الشّافعي في إيجاب الصّلاة علىٰ المحارب في حال المسابقة اذا حضر وقتها و اذا إطمّأنوا فعليهم القضاء ثمّ قال إلاّ أنّ علىٰ هذا القول إشكالاً و هو أن يصير تقدير الآية فاذا قضيتم الصّلاة فصّلوا و ذلك بعيد لأنّ حمل لفظ الذّكر على الصّلاة مجاز فلا يُصار اليه إلاّ لضرورةٍ انتهىٰ كلامه.

أقول الحقّ في معنىٰ الآية أنّه اذا زال خوفكم من عدّوكم و أمنتم فأتمّوا الصّلاة بحدودها غير قاصرين لها عن شيءٍ من حدودها لأنّه تعالى عرَّف عباده الصّلاة الواجبة بهاتين الأيتين.

أحدهما: حال شدّة الخوف فأذِن لهم بقصرها على ما بيّناه.

الثّانية: حال الأمن من الخوف فأمَرهم بإقامة حدودها و عدم تقصيرها و هو ظاهر ثمّ ذكر بقوله: **فَاذْكُرُوا ٱللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَىٰ جُنُوبِكُمْ** أمراً أخر و هو التوجّه الىٰ اللّه والتفرّغ اليه و طلب النّصر منه و بالجملة عدم الغفلة عن اللّه تعالىٰ في كلّ حالٍ و عليه فقوله: **فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ** معناه اذا إطمأننتم من الحال التّي لم تكونوا فيها مقيمين صلاتكم بحدودها، فأقيموا الصّلاة بحدودها غير قاصرين لها ثمّ قال: **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا** أي فريضة مفرُوضة.

و قيل أي فرضاً واجباً والظّاهر أنّ معنى الكلام هي عليهم فرض في وقت وجوب أداءها فأنّ الموقوت مشتق من الوقت ولذلك قيل معنىٰ الموقوت أنّها كتبت عليهم في أوقات موقّتة و حيث أنّه تعالىٰ أجمل ذكر الأوقات في الآية بيانها في سائر الأيات.

و أمّا كيفيّتها فقد بيّنها النّبي صلى الله عليه وآله بفعله و قوله لنا عن طريق السُنّة و قال صلّوا كما رأيتموني أصلّي و هو ظاهر.

وَ لَا تَهِنُوا فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

الوهن الضّعف والإبتغاء الطّلب، و المعنى لا تضعفوا في طلب القوم لأنّهم أعداء اللّه و أعداءكم و ذلك لأنّه أن تكونوا تألمون ممّا ينالكم من الجراح في الدّنيا وصار هذا سبب ضعفكم في طلب القوم فأنّهم، أي أنّ أعداءكم من الكفّار والمشركين، يألمُون أيضاً ممّا ينالهم منكم من الجرح والأذى مثل ما تألمون أنتم من جراحهم و أذاهم والفرق، أنّكم، أيّها المؤمنون ترجون من اللّه الظّفر عاجلاً و الثّواب آجلاً على ما ينالكم منهم، و أمّا الكفّار فأنّهم لا يرجون من اللّه شيئاً علىٰ ما ينالهم منكم و اذا كان كذلك فأنتم أيّها المؤمنون أولىٰ و أحرى بأن تصبروا علىٰ حربهم وقتالهم منهم علىٰ حربكم و قتالكم، أو يقال أنّكم تعبدون إلٰهاً قادراً علىٰ كلّ شي بصيراً سميعاً مدبّراً حكيماً، و أمّا الكفّار فأنّهم يعبدون الأصنام و هى جمادات فلا يصّح منهم أن يرجو من تلك الأصنام ثواباً أو يخافوا منها عقاباً فالعقل يحكم بصحّة رجاءكم وعدم صحّة رجاءهم فأنتم أولى بالتّثبت و الإستقامة منهم.

■

إِنَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ ٱللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَ ٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَآءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَنْ يُجَادِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾

◁ اللّغة

خَصِيمًا، الخَصِيم بفتح الخاء وكسر الصّاد الكثير المُخاصِمة فهو مبالغة من الخَصِم يقال خَصِمته خِصماً أي نازعته خصماً.

وَ لَا تُجَادِلْ، الجدال المفائضة علىٰ سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله و منه الجَديل.

خَوّانًا أَثِيمًا، الخَوّان بفتح الخاء مبالغة من الخيانة و هى والنّفاق واحد إلاّ أنّ الخيانة تقال إعتباراً بالعهد والأمانة والنّفاق يقال إعتباراً بالدّين ثمّ يَتداخلان فالخيانة مخالفة الحقّ بنقض العهد في السِّر، والأثيم، بمعنىٰ الإثم و هو

فاعل من الإثم، قال الرّاغب الإثم و الآثام إسم للأفعال المبطئة عن الثّواب و جمعه آثام وباقي اللّغات واضح.

◁ الإعراب

بِالْحَقِّ هو حال من الكتاب أَرٰاكَ الهَمزة ها هنا معدّية والفعل من رأيت الشّئ إذا ذهبت اليه و هو من الرّاي و هو متّعدٍ الىٰ مفعولٍ واحدٍ وبعد الهمزة يتّعدىٰ الىٰ مفعولين أحدهما الكاف والآخر محذوف، أي أراكه، يَسْتَخْفُونَ مستأنف فلا موضع له إِذْ يُبَيِّتُونَ ظرف للعامل في، معهم أَمْ مَنْ يَكُونُ أم هنا مُنقطعة.

◁ التّفسير

إِنّآ أَنْزَلْنآ إِلَيْكَ ٱلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ المخاطب بهذه الآية هو النّبي صلى الله عليه وآله والمعنىٰ إنّا أنزلنا اليك، يا محمّد، الكتاب، يعني القرآن، بالحقّ، لأنّه لا سبيل للبطلان اليه أو لأنّه ثابت لا يتّغير أو أنّه مطابق للواقع ونفس الأمر من حيث الحُكم علىٰ إختلاف في معنىٰ الحقّ و قد وصف اللّه تعالىٰ كتابه به في مواضع كثيرة:

قال اللّه تعالىٰ: إِنَّ ٱلَّذينَ أُوتُوا ٱلْكِتٰابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ[(١)]

قال اللّه تعالىٰ: ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللّٰهَ نَزَّلَ ٱلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ[(٢)]

قال اللّه تعالىٰ: أَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنّاسِ[(٣)].

و غيرها من الآيات و لا شكّ أنّ الكتاب نزل بالحقّ و كيف لا يكون كذلك و قد صَرَّح اللّه تعالىٰ بهذا المعنىٰ حيث قال: لا يَأْتيهِ ٱلْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميدٍ[(٤)] لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنّاسِ بِمآ أَرٰاكَ ٱللّٰهُ أي لتحكم يا

١- البقرة =١٤٤
٢- البقرة =١٧٦
٣- البقرة =٢١٣
٤- فصّلت =٤٢

محمّد بين النّاس بما أعلمك اللّه في كتابه **وَ لَا تَكُنْ لِلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا** نهىٰ اللّه نبيّه أن يكون خصيماً لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله بأن يدفع من طالبه عنه بحقّه الّذي خانه فيه و قال بعض المفسّرين من العّامة أنّ أكثر هذه الأيات نزلت في طعمة إبن أبيرق و ذلك أنّ طعمة سرق درعاً فلمّا طلبت الدِّرع منه رمىٰ واحداً من اليهود بتلك السِّرقة ولمّا إشتَّدت الخصومة بين قومه و بين قوم اليهود جاء قومه الىٰ النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و طلبوا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يعينهم علىٰ هذا المقصود و أن يلحق هذه الخيانة باليهودي فهَّم الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بذلك فنزلت الآية.

و قيل أنّ واحداً وضع عنده درعاً علىٰ سبيل الوديعة ولم يكن هناك شاهد فلمّا طلبها منه جحدها، و قيل أنّ المودّع لمّا طلب الوديعة زعم أنّ اليهودي سرق الدرّع، و قيل غير ذلك والأمر سهل ثمّ أنّهم إختلفوا في معنىٰ، ما أراك اللّه، علىٰ أقوالٍ.

أحدها: أن يكون المراد به رؤية البصر و عليه فهو منقول بالهَمزة من رأيت الّتي يراد بها رؤية البصر.

ثانيها: أنّه من رأيت الّتي تتعدّىٰ الىٰ المفعولين.

ثالثها: أنّه مِن رأيتُ الّتي يُراد بها الإعتقاد.

أمّا الوجه الأوّل: فلا سبيل اليه لأنّ الحكم في الحادثة لا يرىٰ بالبصر.

الثّاني: أيضاً باطل لأنّه يلزم أن يتّعدىٰ الىٰ ثلاثة لا الىٰ المفعولين بسبب التّعدي و معلوم أنّ اللّفظ لم يتّعد إلاّ الىٰ مفعولين أحدهما الكاف الّتي هي للخطاب و الآخر المفعول المقدّر و تقديره بما أراكه اللّه و لمّا بطل القسمان بقىٰ الثّالث و هو أن يكون بمعنىٰ الإعتقاد هكذا قيل و عليه فالمعنىٰ بما أعلمك اللّه سمّي ذلك العلم بالرّؤية لأنّ العلم اليقيني المبرّأ عن جهات الرَّيب يكون جارياً مجرىٰ الرّؤية في القوّة والظّهور نقل الرّازي عن عمر بن الخطاب أنّه قال لا يقولّن أحدٌ قضيتُ بما أراني اللّه فأنّ اللّه تعالىٰ لم يجعل ذلك إلاّ لنبيّه الواحد منّا فرأيه يكون ظنّاً و لا يكون علماً انتهىٰ كلامه.

أقول العجب من الرّازي في إستدلاله بقول عمر في أمثال هذه الأمور كان عالماً بأنّ عمر كان من العوام الّذي لا يصّح ان يستدل بطلانه لأنّ ظنيتّه الطّريق لا تنافي قطعيّة الحكم كماثبت في محلّه وبعبارةٍ أخرىٰ أنّ الطّريق في الوصول الىٰ الواقع ظنّي لا أنّ مؤدي الطّريق ظنّي و هذا هو الأصل والمدار في الأحكام الشّرعية فالرّأي الحاصل للقاضي مثلاً يكون قطعيّاً و أن كان طريقه ظنّياً، إذ لو كان الأمر كما ذكره لكان العلم والقطع منفيّين في جميع الأحكام غير الضّروريات و قد ثبت أنّ القاضي إذا لم يقطع بالحكم لا يجوز له الحكم و هو ظاهر. **وَ ٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ثمّ أمر اللّه نبيّه بالإستغفار في مخاصمته عن الخائن مال غيره، فالطّاعنون في عصمة الأنبياء يقولون دلّت الآية علىٰ صدور الذّنب من الرّسول صلى الله عليه وآله فأنّه لولا أنّ الرّسول أراد أن يخاصم لأجل الخائن و يذّب عنه لما ورد النّهي عنه بقوله: **وَ لَا تَكُنْ لِلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا** و قد أجابوا عنه بأنّ النّهي عن الشّئ لا يقتضي كون المنّهي فاعلاً للمنّهي عنه بل لمّا كانوا يحاولون أن يحملوا الرّسول صلى الله عليه وآله علىٰ أن يحكم بالباطل ويذر الحكم الحقّ فإطّلع اللّه رسوله عليه وأمره بأن لا يلتفت اليهم و لا يقبل قولهم في هذا الباب.

و أمّا أمره بالإستغفار حيث قال و أستغفروا اللّه فهو أيضاً لا يدّل علىٰ صدور الذّنب منه صلى الله عليه وآله لأنّه صلى الله عليه وآله كان منزهاً عن القبائح لعصمته و أنّما ذكر ذلك علىٰ وجه التّأديب له في أن لا يبادر فيخاصمهم و يدفع عن خصم إلاّ بعد أن يبيّن الحقّ منه والمراد بذلك أنّه أمتّه قاله الشّيخ في التبيّان ثمّ قال علىٰ إنّا لا نعلم أنّ ما روي في هذا الباب وقع من النبّي صلى الله عليه وآله لأنّ طيقه الآحاد ليس توّجه النّهي اليه يدّل علىٰ أنّه وقع منه المنّهي عنه قال اللّه تعالىٰ: **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** (١).

و لا يدّل ذلك علىٰ وقوع الشّرك منه و قال قوم من المفسّرين أنّه لم يخاصم عن الخَصم و أنّما همَّ به فعابه اللّه علىٰ ذلك انتهىٰ كلامه.

١- الزّمر =٦٥

و أمّا قوله تعالىٰ: **إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** معناه أنّه تعالىٰ ليصفح عن ذنوب عباده و يسترها عليهم و يترك مؤاخذتهم بها و أنّما ذكر ذلك بعد قوله: **وَ ٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ** إشعاراً بأنّ الصفح عن الذّنوب لا يكون إلاّ بعد التّوبة.

وَ لَا تُجَادِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا

نهىٰ اللّه نبيّه أن يجادل عن الّذين يختانون أنفسهم بمعنىٰ يخونون أنفسهم والمراد بهم طعمة و من عاونه من قومه ممّن علم كونه سارقاً و أنّما قال تعالىٰ أنّهم يختانون أنفسَهم، لأنّ من أَقدَم علىٰ المعصية فقد حرم نفسه الثّواب و أوصلها الىٰ العقاب فكان ذلك منه خيانة مع نفسه هكذا قال بعض المفسّرين بعضهم، يختانون أنفسهم معناه يخونون أنفسهم فيجعلونها خونة بخيانتهم ماخانوا من الأموال ثمّ قال تعالىٰ: **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** يعني أنّ اللّه لا يحبّ من كان صنعته خيانة النّاس في أموالهم و الأثيم بمعنىٰ المأثوم و معلومٌ أنّ الخائن آثم و أيّ إثم وأقبح من الخيانة ولعلّه لذلك أتىٰ بصيغة المبالغة الدّالة علىٰ الكثرة واللّه أعلم بحقائق الأمور.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَ لَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

ثمّ أخبَر اللّه تعالىٰ بأنّ هؤلاء الخائنين يكتمون خيانتهم من النّاس الّذين لا يقدرون لهم علىٰ شئ إلاّ الذّكر لهم بقبيح ما أتوه من فعلهم و لا يستخفون من اللّه الّذي هو معهم و لا يخفىٰ عليه شئ من أمرهم وبيده العقاب والنّكال إذ يبيّتون ما لا يرضىٰ من القول، أي يسّرون ليلاً ما لا يرضىٰ من القول يعني في رمي البريئ بجرم السّقيم **وَ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** فيعلم ما يعلمه هؤلاء المستخفون و تبيتهم ما لا يرضي من القول وغيره من أفعالهم قوله: **مُحِيطًا** إشارة الىٰ أنّ ما سوىٰ الّه كائناً ما كان محاطٌ له تعالىٰ تعالىٰ محيطٌ عليهم و لا

شئ من المحاط يخفي علىٰ المحيط وإلاّ يلزم خروج الشّئ عمّا هو عليه.

هٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا

هاء في هاأنتم وهؤلاء للتنّبيه وقيل أنّها أعيدت مع، أُولاء، والمعنىٰ ها أنتم الّذين جادلتم لأنّ (هؤلاء وهذا) يكون في الإشارة للمخاطبين الّتي أنـفسهم بمنزلة، الّذين قال الزّجاج، هؤلاء، بمعنىٰ الّذين لأنّ المخاطب المـواجـه لا يحتاج الىٰ الإشارة الىٰ نفسه، و قال المغربي هؤلاء كناية عن اللّصوص الّذين يجادل عنهم و هو غير، أنتم، و لذلك حسن التّكرير و معنىٰ الآية ها أنتم الّذين جادلتم و الجدال أشدّ الخصومة، فكأنّه قيل يا معاشر من جادل عن بني أبيرق في الحياة الدّنيا و الهاء و الميم في عنهم، كناية عن الخائنين، فمن يجادل عنهم معناه من ذا يخاصم اللّه عنهم يوم القيامة السّاعة فيدافع عنهم ما اللّه فاعل بهم وبعبارةٍ أخرىٰ أنّكم أن دافعتم في عاجل الدّنيا عنهم فأنّهم سيصيرون فـي الأخرة الىٰ من لا يدافع عنده عنهم أحد فيما يفعل بهم من العذاب و من ذا الّذي يكون وكيلاً علىٰ هؤلاء الخائنين يوم القيامة فأنّ الوكالة هي القيام بأمر من يوكل له فالمعنىٰ من الّذي يكون محافظاً و محامياً لهم من عذاب اللّه يوم القيامة.

وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا

قيل المراد بالسّوء في المقام الذّنب أي من يعمل ذنباً أو يظلم نفسه بإكتساب المعاصي الّتي يستحق بها العقوبة ثمّ يستغفر اللّه ليس يتوب اليه ممّا عمل يجد اللّه غفوراً أي ساتراً عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه، رحيماً، به فأنّ اللّه وصف نفسه بأنّه أرحم الرّاحمين و الأولىٰ حمل الآية علىٰ عمومها في كلّ من عمل سوءاً أو ظلم نفسه و أن كان سبب نزولها فيمَن تقدّم ذكره من الخائنين أو المجادلين و به قال أكثر المفسّرين كالطّبري والبلخي و الجبائي و غيرهم.

■

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمٰا يَكْسِبُهُ عَلٰى نَفْسِهِ وَ
كٰانَ اَللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿۱۱۱﴾ وَ مَنْ يَكْسِبْ
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ اِحْتَمَلَ بُهْتٰانًا
وَ إِثْمًا مُبِينًا ﴿۱۱۲﴾ وَ لَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكَ وَ
رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَ مٰا
يُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَ
أَنْزَلَ اَللّٰهُ عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مٰا
لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كٰانَ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا
﴿۱۱۳﴾ لاٰ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰاهُمْ إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاٰحٍ بَيْنَ اَلنّٰاسِ وَ مَنْ
يَفْعَلْ ذٰلِكَ اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اَللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿۱۱۴﴾ وَ مَنْ يُشٰاقِقِ اَلرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُ اَلْهُدىٰ وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
اَلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مٰا تَوَلّٰى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سٰاءَتْ
مَصِيرًا ﴿۱۱۵﴾

◁ اللّغة

إِثْمًا، الإثم و الآثام إسم للأفعال المبطئة عن الثّواب.

خَطِيئَةً، الخَطيئة بفتح الخاء مأخوذة عن الخطأ و هو العدول عن الجهة و المراد بها السيّئة.

بُهْتٰانًا، البُهتان بضم الباء الكذب الّذي تتحيّر فيه من عظمه و بيانه يقال بهت فلان إذا كذب و بهت يبهت إذا تحيّر.

نَجْوٰهُمْ، النَّجوىٰ بفتح النّون ما ينفرد به الإثنان أو الجماعة سرّاًكان أو جهراً.
ٱبْتِغٰآءَ الطّلب.
يُشٰاقِقِ، المشّاقة هي المباينة علىٰ وجه العداوة من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ فالمعنىٰ من يباين الرّسول معادياً له فيفارقه علىٰ العداوة.

◁ الإعراب

وَ لَوْلاٰ فَضْلُ ٱللّٰهِ في جواب لولا وجهان:
أحدهما: قوله، لهمَّت.
الثّانى: أنّه محذوف و تقديره لأضلّوك وَ مٰا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ قيل، من زائدة وشيئ في معنىٰ ضرر فهو في موضع المصدر مِنْ نَجْوٰهُمْ في موضع جرّ صفة لكثير و فى النّجوىٰ وجهان:
أحدهما: التّناجي فعلىٰ هذا يكون قوله إِلاّٰ مَنْ أَمَرَ إستثناء منقطع في موضع نصب لأنّ، مَن، للأشخاص و ليس من جنس التّناجي.
ثانيهما: أنّ في الكلام حذف و تقديره إلاّ نجوىٰ من أمر فعلىٰ هذا يكون في موضع جرّ بدلاً من نجواهم، أو في موضع نصب علىٰ أصل باب الإستثناء و يكون متّصلاً.
والوجه الآخر،أنّ النّجوىٰ القوم الّذين يتناجون فعلىٰ هذا يكون الإستثناء متّصلاً فيكون أيضاً في موضع جرٍّ أو نصبٍ علىٰ ما تقدّم بَيْنَ ٱلنّٰاسِ يجوز أن يكون ظرفاً لأصلاح و أن يكون صفة له فيتّعلق بمحذوفٍ ٱبْتِغٰآءَ مفعول له و ألَف في مَرْضٰاتِ من واو.

◁ التّفسير

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَ كٰانَ ٱللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.

الكسب عبارة عمّا يفيد جرّ منفعةٍ أو دفع مضّرةٍ ولذلك لا يجوز وصف البارئ تعالىٰ به و المقصود منه ترغيب العاصي في الإستغفار و التّوبة بعد الذّنب قوله فأنّما يكسبه علىٰ نفسه، إشارة الىٰ أنّ و بال الذّنب في الدّنيا و الآخرة علىٰ المذنب لا علىٰ غيره لأنّه هو الّذي كسبه و فى قوله: **وَ كَانَ اَللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شئ من أعمال العبد و نيّاته و أنّما قال و من يكسب إثماً، ولم يقل من أتىٰ بالإثم أو من أثم و أمثال ذلك من التّعابير للإشارة الىٰ أنّ الإثم إذا كان علىٰ عمدٍ فهو يضّر به و أمّا إذا كان علىٰ غير عمدٍ فلا لأنّه لم يكسبه بل وقع فيه من حيث لا يحتسب و عليه فالمعنىٰ من يأت ذنباً علىٰ عمدٍ منه و معرفةٍ فأنّما يجترح و بال ذلك الذّنب و ضرّه و خزيه و عاره علىٰ نفسه:

قال اللّه تعالىٰ: **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **لِيَجْزِيَ اَللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ**(٢).

قال اللّه تعالىٰ: **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**(٣) وغيرها من الأيات.

و الحاصل أنّه لا يؤخذ أحد بجرم غيره و لا يعاقب الأولاد بذنوب الأباء علىٰ ما ذهب اليه قوم من الحشوّية و مثله قوله تعالىٰ: **وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**(۴) والأمر واضح عقلاً و نقلاً.

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا

بعد ما بيَّن اللّه تعالىٰ أنّ من يكسب إثماً فأنّما يكسبه علىٰ نفسه بيَّن في هذه الآية حكماً أخر و هو رمي الغير بالذّنب الّذي أتىٰ به الرّامي و هو أي الغير بريٌ منه و يسمّىٰ بالبهتان تارةً و بالتُّهمة تارةً أخرىٰ من أقبح الذّنوب و أشنعها

١- البقرة =٢٨۶
٢- إبراهيم =۵١
٣- المدّثر =٣٨
۴- الأنفال = ١۵

و لذلك قال تعالىٰ: **فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا** و البهتان أن ترمي أخالك بأمرٍ منكرٍ و هو بريئ منه فأن البهتان علىٰ البريئ أثقل من الجبال الرّاسيات.

قال رسول اللّه ﷺ من بهت مؤمناً و مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه اللّه يوم القيامة علىٰ تلٍّ من نار حتّىٰ يخرج ممّا قاله فيه.

و عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال من باهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيهما حبسه اللّه عزّ وجلّ يوم القيامة في طينة خبال حتّىٰ يخرج ممّا قال قال قلت و ما طينة خبال قال حديدٌ يخرج من فروج المومسات يعني الزّواني انتهىٰ.

و عنه عليه السلام قال اذا إتّهم المؤمن أخاه أنماث الإيمان من قلبه كما يـنماث الملح في الماء انتهىٰ والأخبار في الباب كثيرة[1].

وَ لَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ

خاطب اللّه تعالىٰ نبّيه فقال له: لولا فضل اللّه و رحمته، أي لولا أنّك كنت مشمولاً لفضله و رحمته و عنايته، لهَمت عليك طائفة منهم، أي من الخائنين و الهَم القصد أن يضّلوك عن طريق الحقّ و قيل معناه يزلّوك عنه و يخطّئوك يهلكوك تبليسهم أمر الخائن عليك و شهادتهم عندك بأنّه بريئٌ ممّا إدُّعي عليه **وَمٰا يُضِلُّونَ** هؤلاء الذين همّوا بإضلالك عن الواجب في أمر هذا الخائن **إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ** أي أنّهم لا يضرونك لأنّ اللّه قد ثبّتك و سَدَّدك في أُمورك و بيَّن لك أمر المحقّ والمبطل **وَ أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتٰابَ وَ ٱلْحِكْمَةَ** الكتاب القرأن و فيه تبيان كلّ شئ و هدىً و موعظةً **وَ عَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ** من خبر الأوّلين والأخرين و ما كان هو كائن وكلّ ذلك من فضل اللّه عليك والىٰ هذا المعنىٰ أشار بقوله: **وَ كٰانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَـظِيمًا** فأشكره علىٰ ما أولاك من نعمه وإحسانه و فى الآية إشارة الىٰ نقطةٍ و هى أنّه لولا فضل اللّه علىٰ العبد و رحمته له لكان في خطرٍ عظيم و هو كذلك.

١- بحار الأنوار كتاب العشرة ج ١٦ ط كمباني

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ

قلنا في شرح اللّغات النَّجوىٰ في اللّغة سرٌّ بين أثنين و قيل أنّها تكون مصدراً بمنزلة المناجاة و عليه حملوا قوله تعالىٰ: **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**(1) و قد تكون بمعنىٰ القوم الذّين يتناجون قال تعالىٰ: **وَ إِذْ هُمْ نَجْوَىٰ** والمعنىٰ لا خير في كثيرٍ من نجوىٰ النّاس جميعاً وفيه إشارة الىٰ وجود الخير فيها أحياناً في بعض الموارد لأنّه تعالىٰ لم يقل لا خير في نجواهم بل قال في كثيرٍ من نَجواهم يدّل علىٰ وجود الخير فيها قليلاً ثمّ إستثنىٰ من الحكم أموراً ثلاثة:

أحدها: الأمر بالصّدقة.

ثانيها: الأمر بالمعروف.

ثالثها: الإصلاح بين النّاس أي أنّ النّجوىٰ في هذه الأمور لا بأس بها لوجود الخير فيها قال بعض المحققين أنّ عمل الخير إمّا أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضّرة، ثمّ إيصال المنفعة إمّا أن يكون من الخيرات الجسمّانية و هو إعطاء المال واليه الإشارة بقوله إلاّ من أمر بصدقةٍ.

و أمّا أن يكون من الخيرات الرّوحانية و هو عبارة عن تكميل القوّة النّظرية بالعلوم أو تكميل القّوة العمّلية بالأفعال الحسنة و مجموعها عبارة عن الأمر بالمعروف و اليه الإشارة بقوله، أو بمعروفٍ.

و أمّا إزالة الضّرر فإليها الإشارة بقوله: **أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** فثبت أنّ مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية انتهىٰ كلامه ملخّصاً.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

۱- المجادله = ۷

أي يفعل ما تقّدم من الأمور الثّلاثة طلباً لمرضات اللّه لا طلباً لمرضات الخلق و الهوىٰ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً في الأخرة فأنّ اللّه تعالىٰ لا يضيع أجر المحسنين و هو نعم المولىٰ ونعم النَّصير.

وَ مَنْ يُشٰاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدٰى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مٰا تَوَلّٰى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سٰآءَتْ مَصِيرًا

المشاقّة هي المباينة علىٰ وجه العداوة والمعنىٰ من يباين الرّسول و يفارقه علىٰ العداوة من بعد ما تبَّين له الهدىٰ أي من بعد ما تبَّين و ظهر له أنّه رسول اللّه و أنّ ما جاء به من عند اللّه و مع ذلك يتّبع غير سبيل المؤمنين الذّين إتّبعُوا النّبي، نولّه ما توّلىٰ، أي نجعل ناصره ما إستَغفره إستَعان به من الأوثان و الأصنام و هى لا تغنيه و لا تدفع عنه من عذاب اللّه شيئاً، و نصلّه جهنّم، أي و نجعله صلّىٰ نار جهنّم معناه نحرقه بها، وساءت مصيراً، أي ساءت جهنّم مصيراً أي موضعاً يصير اليه من صار اليه، قال الشّيخ في التّبيان و قد إستّدل خلق من المتّكلمين و الفقهاء بهذه الآية علىٰ أنّ الإجماع حجّة بأن قالوا، توّعد اللّه علىٰ إتّباع غير سبيل المؤمنين كما توّعد علىٰ مشاقّة الرّسول ﷺ فلولا أنّ إتّباعهم واجب لم يجز ذلك و هذا ليس بصحيح من وجوهٍ:

أحدها: أنّ الآية نزلت فيمن تقّدم ذكره و كان قد إرتّد ولحق بالمشركين فوجب أن يتناوله و يتناول كلّ من يجري مجراه من المرّتدين و مخالفي الإسلام.

الثّاني: أنّ من أصحابنا من قال لا نسلّم أنّه أراد بمن في هذه الآية الإستغراق و لا بلفظة سبيل، جميع السُّبل، و لا بالمؤمنين، جميع المؤمنين فمن أين لهم وجوب الإستغراق و اذا أحتمل التّخصيص جاز لنا أن نحمل علىٰ سبيل الإيمان الّذي من خالفه كان كافراً أو بالمؤمنين أراد به الأئمّة المعصومين ولو جاز حملها علىٰ العموم لوجب حملها علىٰ أهل جميع

الأعصار على وجه الجمع دون أهل كلّ عصرٍ لأنّ العموم يقتضي ذلك و ساق الكلام الى أن قال على أنّه لو سلّم جميع ذلك لكان يجب علينا إتّباع اذا كانوا مؤمنين لأنّه هكذا أوجب فمن أين أنّهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين و وجوب الإتّباع تابع لكونهم مؤمنين فيحتاجون الى دليل أخر في أنّهم لا يخرجون عن كونهم مؤمنين غير الآية الى أخر كلامه.

و قال فخر الرّازي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

المسألة الأُولى: روي أنّ الشّافعي سأل عن أيةٍ في كتاب اللّه تدّل على أنّ الإجماع حجّة فقرأ القرأن ثلاث مائة مرّة حتّى وجد هذه الآية وتقرير الإستدلال أنّ إتّباع غير سبيل المؤمنين حرام فوجب أن يكون إتّباع سبيل المؤمنين واجباً بيان المقدّمة الأولى أنّه تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرّسول و يتّبع غير سبيل المؤمنين و مشّاقة الرّسول وحدها موجبة لهذا الوعيد فلو لم يكن إتّباع غير سبيل المؤمنين موجباً له لكان ذلك ضمّاً لما لا أثر له في الوعيد الى ما هو مستّقل بإقتضاء ذلك الوعيد و أنّه غير جائز فثبت أنّ إتّباع غير سبيل المؤمنين حرام و اذا ثبت هذا لزم أن يكون إتّباع سبيلهم واجباً لأنّ عدم إتّباع سبيل المؤمنين يصدق عليه أنّ إتّباع لغير سبيل المؤمنين فاذا كان إتّباع غير سبيل المؤمنين حراماً لزم أن يكون عدم إتّباع سبيل المؤمنين حراماً و اذا كان عدم إتّباعهم حراماً كان إتّباعهم واجباً لأنّه لا خروج عن طرفي النّقيض انتهى كلامه.

و الحقّ أنّ الآية لا تدّل على حجّية الإجماع لأنّ ظاهرها يقتضي إيجاب متابعة من هو مؤمن حقّاً ظاهراً وباطناً لا مَن أظهر الإيمان فقط لأنّه لا يوصف بأنّه مؤمن إلاّ مجازاً فكيف يحمل ذلك على إيجاب متابعة من أظهر الإيمان و ليس كلّ من أظهر الإيمان مؤمناً وفاقاً للطّبرسي في تفسيره و هذا هو الذّي يظهر من كلام الشّيخ أيضاً في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين منّا أنّ الآية تنهىٰ عن معصية اللّه وشقّ عصا الإجتماع الإسلامي و ذلك لأنّ سبيل المؤمنين الذّي نهىٰ اللّه عن مخالفته هو عبارة عن إجتماعهم علىٰ الإيمان وطاعة اللّه ورسوله فأنّ ذلك هو الحافظ لوحدة سبيلهم:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَ لا تَفَرَّقُوا**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَنَّ هٰذا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**(٢).

و غيرها من الأيات الدّالة على حفظ الوحدة بين المسلمين، قال، فمعنىٰ الآية أعني قوله و مَن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن الهدىٰ و يتبّع غير سبيل المؤمنين، يعُود الىٰ معنىٰ قوله:

قال اللّه تعالىٰ: **يآ أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا إِذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَ تَناجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ**(٣).

أقول ما ذكروه في تفسير الآية لا بأس به إجمالاً إلاّ أنّه لا يشفي العليل والذّي يخطر بالبال في معنىٰ الآية هو أنّ اللّه تعالىٰ أراد بها متابعة الرّسول في جميع الأمور:

قال اللّه تعالىٰ: **مآ اٰتيٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهيٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**(٤).

قال اللّه تعالىٰ: **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**(٥).

قال اللّه تعالىٰ: **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّٰهَ**(٦).

قال اللّه تعالىٰ: **أَطِيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**(٧).

١- آل عمران =١٠٣
٢- سورة الأنعام أية ١٥٣
٣- المجادلة =٩
٤- الحشر =٧
٥- الأحزاب =٢١
٦- النّساء =٨٠
٧- الأنفال =٢٠

و أمثال ذلك من الأيات الدّالة على وجوب متابعة الرّسول و أنّ متابعته متابعة اللّه و مخالفته مخالفته و هذا أمرٌ محقّقٌ مقطوع في الشّريعة المقدّسة و لا يحتاج الى بيان مضافاً علىٰ صريح الكتاب.

اذا عرفت هذا فنقول: لا كلام لنا فعلاً فيمن أطاع اللّه و رسوله و أنّما الكلام فيمن خالَف الرّسول في هذه الآية لقوله تعالىٰ: **وَ مَنْ يُشٰاقِقِ ٱلرَّسُولَ** ثمّ أنّ المفارق على قسمين:

أحدهما: من فارق الرّسول و سلك غير مسلكه على سبيل العداوة.

ثانيهما: من فارقه و سلك غير مَسَلكه لا على وجه العداوة كما اذا كان جاهلاً بطريقه مثلاً، و هذا أيضاً لا كلام لنا فيه لأنّ من كان كذلك يكون جاهلاً بالحكم و هو خارج عن موضوع البحث في الآية فالآية لا تشمله لأنّه ليس ممّن يُشاقق الرّسول و هو ظاهر.

و أمّا القسم الأوّل و هو المُفارق المباين للرّسول علىٰ وجه المعاداة فهو مصدّاق للأية والآية ناظرة اليه اذا عرفت هذا فنقول:

معنى الآية أنّ من يشاقق الرّسول أي يباينه و يفارقه في سنّته معادياً له من بعد ما تبيّن له الهدىٰ، أي من بعد ما ثبت و تحقّق له أنّ طاعة الرّسول طاعة اللّه و أنّه ما ينطق عن الهوىٰ و من خالفه فقد خالف اللّه و بالجملة بعد معرفة اللّه و معرفة الرّسول، و يتّبع في دِينه يغر سبيل المؤمنين الذّين في رأسهم الرّسول، نوَّله ما توَّلىٰ، أي نكله الىٰ من إنتصر به و إتّكل عليه من الأوثان و قيل معناه نخلّي بينه و بين ما إختاره لنفسه.

و نصله جهنّم أي نلزمه دخولها عقوبةً علىٰ ما إختاره من الضّلالة و الغواية بعد ما تبيّن له الهدىٰ و تمّت عليه الحجّة، فهذا معنىٰ الآية.

و أمّا أنّها تدّل على حجّية الإجماع فلا نفهم معناه و متابعة سبيل المؤمنين لا ربط لها بمسألة الإجماع لأنّ متابعة سبيل المؤمنين هي بعينها متابعة

الرّسول و مخالفته فى جادة الشّريعة فقوله و يتّبع غير سبيل المؤمنين عبارة أخرىٰ لقوله:: **وَ مَنْ يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ** بل هو توضيح و تفسيرٌ له لأنّ سنّة الرّسول لا تعرف إلاّ من طريق المؤمنين التّابعين له صلى الله عليه وآله هذا ما ظهر لنا في تفسير الآية و اللّه تعالىٰ أعلم بكلامه و مراده.

■

إِنَّ ٱللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ
لِمَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا
بَعيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ إِناثًا وَ إِنْ
يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطانًا مَريدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَ قالَ
لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَ
لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَأٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ اٰذانَ
ٱلْأَنْعامِ وَ لَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَ مَنْ
يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ
خُسْرانًا مُبينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَ يُمَنّيهِمْ وَ ما
يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولٰئِكَ
مَأْويٰهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحيصًا ﴿١٢١﴾
وَ ٱلَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهارُ خالِدينَ فيهآ
أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قيلًا
﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لآ أَمانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتابِ
مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصيرًا ﴿١٢٣﴾ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ
ٱلصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقيرًا ﴿١٢٤﴾
وَ مَنْ أَحْسَنُ دينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ
مُحْسِنٌ وَ ٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهيمَ حَنيفًا وَ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ
إِبْراهيمَ خَليلًا ﴿١٢٥﴾ وَ لِلَّهِ ما فِي ٱلسَّمٰواتِ وَ ما
فِي ٱلْأَرْضِ وَ كانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطًا ﴿١٢٦﴾

◁ اللّغة

إنٰاثًا، الإناث بكسر الألف جمع لأُنثىٰ و هى خلاف الذّكر.

مَرِيدً، المُريد بفتح الميم المتمرّد علىٰ اللّه في خلافه فيما أمر به و نهى عنه و هو إبليس.

نَصِيبًا، النَّصيب بفتح النّون الحظّ.

لَأُمَنِّيَنَّهُمْ، أُمَنِّي بضمّ الألف و فتح الميم وكسر النّون المشدّدة متكلّم وحدة من منَّي يمنِّي مؤكّدٌ بالنّون المثقّلة و هكذا.

لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَاٰمُرَنَّهُمْ فأنّ النّون في الجميع للتّأكيد و الأصل، أضّل و أمنّي و أمر.

فَلَيُبَتِّكُنَّ من تبَّك و النّون أيضاً للتّأكيد يقال، تَبكه و تبّكه أي قطعه فأنّ التّبّك بفتح الباء و سكون التّاء و الكاف القطع.

مَحيصًا، المَحيص بفتح الميم وكسر الحاء من حاص يُحيص حَيصاً و حَوصاً اذا عدل عنه.

نَقِيرًا، النَّقير بفتح النُّون النّقطة في ظهر النّواة و الباقي واضح.

◁ الإعراب

لِمَنْ يَشَآءُ اللاّم تتعلّق بيغفر لَعَنَهُ ٱللَّهُ صفة أخرى للشّيطان و يجوز أن يكون مستأنفاً على الدّعاء (وقال) منه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون الواو عاطفة لقال على لعنه اللّه، و فاعل، قال، ضمير الشّأن.

الثّانى: أن تكون للحال أي و قد قال.

الثّالث: أن تكون الجملة مستأنفة لَأُضِلَّنَّهُمْوَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَاٰمُرَنَّهُمْ مفعول هذه الأفعال محذوف أي لأضلّنهم عن الهدىٰ، و لأمنينّهم، الباطل، و لأمرنّهم بالضّلال يَعِدُهُمْ المفعول الثّاني محذوف و تقديره يعدهم النّصر و السّلامة

عَنْهٰا حال من مَحِيصًا والتقدّير محيصاً عنها وَٱلَّذِينَ اٰمَنُوا مبتدأ و سندخلهم، الخبر وَعْدَ ٱللّٰهِ نصب على المصدر حَقًّا حال منه لَيْسَ بِأَمٰانِيِّكُمْ إسم ليس مضمرٌ فيها و لم يتقدّم له ذكرٌ و أنّما دلّ عليه سبب الآية أي ليس ما إدعيتّموه مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ في موضع الحال من ضمير الفاعل في، يعمل، أو مِن الصّالحاتِ أي كائنة من ذكرٍ أو أنثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ حال أيضاً مِمَّنْ أَسْلَمَ يعمل فيه، أحسن وللّه يتعلّق بأسلم و يجوز أن يكون حالاً من وجهه، وإتّبع معطوف على، أسلم حَنِيفًا حال وَ ٱتَّخَذَ ٱللّٰهُ مستأنف.

◁ التّفسير

إِنَّ ٱللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰآءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيدًا

إعلم أنّ الشّرك في الدّين على قسمين:

أحدهما: الشِّرك العظيم و هو إثبات شريكٍ للّٰه تعالىٰ أشَرَك فلان باللّه و ذلك أعظم كفرٍ.

الثّاني: الشّرک الصّغير و هو مراعات غير اللّه معه في بعض الأمور الرّياء و النّفاق و الشِّرك المراد في الآية الشّريفة هو الأوّل أعني به الشِّرك الكبير لأنّه هو الّذي لايغفر و أمّا الشِّرك بالمعنىٰ الثّاني فلا لأنّه يغفر بترك مظاهره قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، ظاهر الآية أنّها في مقام التّعليل لقوله تعالىٰ في الآية السّابقة: **نُوَلِّهِ مٰا تَوَلّٰى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ** بناءً علىٰ إتّصال الأيات فالآية تدّل علىٰ أنّ مشاقة الرّسول شرك باللّه العظيم و أنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به و ربّما أستفيد ذلك من قوله تعالىٰ:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ وَ شٰآقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا ٱللّٰهَ شَيْئًا وَ سَيُحْبِطُ أَعْمٰالَهُمْ،يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ

اٰمَنُوٓا أَطيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطيعُوا اَلرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوٓا أَعْمٰالَكُمْ،إِنَّ اَلَّذينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبيلِ اَللّٰهِ ثُمَّ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اَللّٰهُ لَهُمْ[١].

فأنّ ظاهر الآية الثّالثة أنّها تعليل لما في الآية الثّاني من الأمر بطاعة اللّه و طاعة رسوله فيكون الخروج عن طاعة اللّه وطاعة رسوله كفراً لا يغفر أبداً و هو الشِّرك إنتهىٰ.

و لقائلٍ أن يقول:

أمّا أوّلاً: فلا دليل على إتّصال الأيات كما ثبت في موضعه.

ثانياً: أنّ القول بكون مشاقّة الرّسول، بشرك باللّه العظيم يحتاج الىٰ دليل عقلاً أو نقلاً و ذلك لأنّ مشاقة الرّسول و مفارقته لعداوةٍ ليست في حدّ الشِّرك لأنّها تقبل المغفرة بعد رجوعه عمّا كان عليه من المفارقة بخلاف الشِّرك إذ لا رجوع فيه علىٰ ظاهر الآية و غيرها من الأيات والدّليل علىٰ ذلك هو أنّ توبة المشرك لا تقبل في الدّنيا و أمّا توبة غيره تقبل كائناً ما كان ولذلك من أشرك باللّه يقتل و لا يستتاب و أمّا مفارق الرّسول فلا يقتل إلاّ أن تكون المفارقة ناشئة عن إنكار النبوّة فأنّه يقتل، ولكن المشاقة لا تدّل علىٰ الإنكار إذا قد تحصل للفاسق بلا إنكار و محصّل الكلام هو أنّ دلالة الآية على أنّ مشاقة الرّسول هي الشِّرك بقولٍ مطلق فيترتّب عليها آثاره لا يمكن المساعدة عليه فقوله في آخر كلامه، فيكون الخروج عن طاعة اللّه وطاعة رسوله كفراً لا يغفر أبداً و هو الشِّرك، كلام لا دليل عليه فأنّ الخروج عن طاعة اللّه وطاعة رسوله أن كان منشأه إنكار التّوحيد والنبوّة فأنّه لا يغفر و أمّا إذا كان علىٰ غير سبيل الإنكار فلا و هذا ظاهر لا خفاء فيه عند القائل فيه ثمّ أنّ الآية و أمثالها من الأيات يدّل على أنّ من يشرك باللّه لا يغفر له و أمّا من كان مشركاً ثمّ صار موحدّاً بمعنى أنّه ولد على الكفر و الشِّرك ثمّ تاب و رجع عمّا كان عليه و صار

١- محمّد =٣٢/٣٣/٣٤

موحّداً فتقبل توبته و يدخل في مغفرة اللّه قطعاً و أمّا من ولد على التّوحيد و الإسلام ثمّ أشرك فلا يغفر له و الآية ناظرة الى هذا القسم لأنّ اللّه تعالى يقول: **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** ولم يقل لا يغفر لمن كان مشركاً و قد ثبت أنّ فعل المضارع يدّل على الحدوث فالمراد به الشّرك الحادث بعد أن لم يكن و أمّا الشِّرك القديم فهو للغفران بالرّجوع منه الىٰ التّوحيد و أمّا قوله تعالىٰ: **وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ** فمعناه أنّه تعالىٰ يغفر ما دون الشِّرك من الذّنوب و المعاصي كائناً ما كان، قال اللّه تعالىٰ: **لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا**(١) ودلّت الآية علىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يغفر الذّنوب جميعاً، أي ذنب كان، خَرج منها الشِّرك باللّه وبقىٰ غيره تحت العموم فالمعنىٰ أنّ اللّه يغفر جميع الذّنوب غير الشِّرك باللّه والأيات الدّالة علىٰ المدّعي كثيرة:

كقوله تعالىٰ: **فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**(٢).

قال اللّه تعالى: **وَ مَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ**(٣).

و أمثالها كثيرة و يظهر من الآية أنّ الشِّرك أعظم الذّنوب و لا ذنب فوقه لأنّ اللّه تعالىٰ جَعل غير الشِّرك منها تحته فقال ويَغفر ما دون ذلك و هو كذلك:

قال اللّه تعالى: **وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**(٤).

وفي قوله لمن يشاء، إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ مختار في فعله:

قال اللّه تعالى: **فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**(٥).

قال اللّه تعالى: **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ**(٦) و غيرها من الأيات.

١- الزّمر =٥٤
٢- آل عُمران =٣١
٣- آل عُمران =١٣٥
٤- لُقمان =١٣
٥- البقرة =٢٨٤
٦- المائدة =٤٠

ثمّ قال: **وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيدًا** و فيه دلالة علىٰ عظم الشِّرك وأنّه في رأس الذّنوب و أنّ المُشرك محرومٌ من رحمة اللّه و أنّما وصف ضلالته بالبعد فقال ضلالاً بعيداً لأنّه غير قابلٍ للغفران لأنه قطع حبل الولاية الذّاتية وذهب عن طريق الحقّ و زال عن قصد السّبيل ذهاباً بعيداً و قد بيّن اللّه تعالىٰ معنى البعد فقال:

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ إِنٰاثًا وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطٰانًا مَرِيدًا

كلمة، إن، في الموضعين للنّفي أي لا يدعون، والمراد بالإناث، قيل آلهتهم من اللاّت و العزّىٰ، منات، ساف، ونائلة سمّاهن إناثاً بتسمية المشركين إيّاها بأسماء الإناث، و قيل المراد بالإناث كلّ شئ ميت ليس فيه روح مثل خشبة يابسة أو حجرٍ يابس و قال الزّجاج الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث كما يعبّر عن المؤنث تقول الأحجار تعجبني و لا تقول يعجبوني الحسن أنّ أهل الأوثان كانوا يسمّون أوثانهم إناثاً وكان لكلّ حيّ صنم يسمّونها أنثىٰ و قد نقلوا عن مجاهد أنّه قال الإناث الأوثان و روي عن عروة عن أبيه أنّ في مصحف عائشة إلاّ، أوثاناً و روي عن إبن عبّاس أنّه كان يقرأها الاّ وثاناً جمع وثن كانه جمع وثاناً و ثناً، والقراءة المشهورة إناثاً و عليه القراء من أهل الأمصار قاله في التبيّان ثمّ نقل عن الحسين بن علّي المغربي أنّه قال ﷺ إلاّ إناثاً معناه عاجزين لا قدرة لهم يقولون سيف أنيث و ميثانة بالهاء و نياث أي غير قاطع قال صخر الغي، فتخبره بأنّ الفعل عندى، جراز لا أفل و لا أنيث انتهىٰ كلام صاحب التبيّان.

و أمّا قوله: **وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطٰانًا مَرِيدًا** فالمعنىٰ أنّهم لا يدعون بشركهم إلاّ شيطاناً متمرّداً علىٰ اللّه في خلافه فيما أمر به و نهى عنه و هو إبليس، و يدعون، معناه، يعبدون لأنّهم إذا دعوا اللّه مخلصين فقد عبدوه و لذلك قالوا في قوله تعالىٰ: **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** أي أعبدوني أستجب لكم بدليل قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي**[1].

١- غافر =٦٠

لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَ قَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا

الهاء في، لعنه، ترجع الى الشّيطان و المعنىٰ أبعده اللّه من ثوابه و أخزاه و أقصاه و التّقدّير و أن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً قد لعنه اللّه و أبعده من كلّ خيرٍ ثمّ أنّ الشّيطان قد أدّعى أموراً أشار اللّه تعالىٰ اليها.

أوّلها: أنّه قال لأتخذّن من عبادك نصيباً مفروضاً، أي قسماً معلوماً و إتّخاذه النّصيب من عباد اللّه يكون بإغواءه أيّاهم عن قصد السّبيل و دعاءه أيّاهم الى طاعته و تزيينه لهم الضّلال و الكفر فمن أجاب دعوته و إتّبعه فهو من نصيبه المعلوم و حظّ المقسُوم في علم اللّه تعالىٰ و لا شكّ أنّ حظّ الشّيطان من عباد اللّه أكثر.

قال اللّه تعالىٰ: **فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**(١).

قوله تعالىٰ حاكياً عنه: **لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**(٢).

حكىٰ عنه أيضاً أنّه قال: **وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ،إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**(٣).

وكيف لا يكون كذلك والكفّار والفسّاق كلّهم حِزب الشيّطان و لا شكّ أنّهم أكثر من المؤمنين المخلصين في كلّ عصرٍ وزمان و إذا كان كذلك فلم قال تعالىٰ لأتخذّن من عبادك نصيباً، مع أنّ لفظ النّصيب لا يتناول القسم الأكثريتناول الأقل.

و قد أجابوا عنه بأنّ هذا التّفاوت أنّما يحصل في نوع البشر و أمّا إذا ضمّمت زمرة الملائكة مع غاية كثرتهم الى المؤمنين كانت الغلبة لِلمؤمنين المخلصين، و لقائل أن يقول أنّ الملائكة ليس للشيّطان عليهم سبيلاً فهم خارجون عن البحث تخصصّاً لا تخصيصّاً فضمّهم الىٰ المؤمنين في هذا

١- سبأ =٢٠
٢- الإسراء =٦٢
٣- الحجر =٤٠

المقام لا معنى له و قال بعضهم في الجواب أنّ الإعتناء بالكثرة من جهة الكيفيّة لا من جهة الكميّة و المؤمنون و أن كانوا قليلين في العدد إلاّ أنّ منصبهم عظيم عند اللّه والكفّار و الفسّاق بالعكس لأنّهم كالعدم فلهذا السّبب وقع إسم النّصيب علىٰ قوم إبليس.

أقول ما ذكره ليس بشيْ والحقّ في الجواب أنّ النّصيب يتناول الأكثر كما يتناول الأقل فقولهم أنّ النّصيب لا يتناول الأكثر لا دليل عليه لا في اللّغة في النّقل و عليه فلا إشكال في المقام حتّىٰ نحتاج الى الجواب.

ثانيها: قوله: **وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ** يعني عن الحقّ و هذه الآية دالّة علىٰ أنّ المضلّ هو الشيّطان و ليس المضلّ هو اللّه تعالىٰ و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ حكى عنه أنّه المضّل و هو تعالىٰ صادق في قوله و حكايته وهكذا في غيرها من الأيات مثل قوله:

قال اللّه تعالى: **وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**.

قال اللّه تعالى: **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**.

قال اللّه تعالى: **لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**.

لأحتنّكن ذرّيته إلاّ قليلاً وأمثالها كثيرة هذا أوّلاً.

ثانياً: أنّ الآية قد دلّت علىٰ أنّ الإضلال ليس عبارة عن خلق الكفر و الضّلال كما ذهب اليه أهل السُّنة و ذلك لأنّ إبليس وصف نفسه بأنّه مضلّ و من المعلوم أنّه لا يقدر على خلق الضّلال.

ثالثها: قوله: **وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ** و هذا مشعر بأنّه لا حيلة له في الإضلال أقوى من إلقاء الأماني في قلوب الخلق و هو، أي طلب الأماني يورث شيئين، الحرص، و طول الأمل و هما كالأمرين اللاّزمين لجوهر الإنسان و لذلك قال رسول اللّه ﷺ يُشيب بن آدم و يشبّ فيه خصلتان، الحِرص، و طول الأمل، و فى حديث آخر **أنّ أخوف ما اخاف عليكم إثنان إتّباع الهَوىٰ و طُول الأمل**..

أمّا إتّباع الهوىٰ فيصد عن الحقّ و أمّا طول الأمل فينسي الآخرة قال بعض المحققين أنّهما يستلزمان ركوب أهوال الدّنيا و أهوال الدّين و ذلك لأنّه إذا إشتدّ حرصه على الشّئ فقد لا يقدر على تحصيله إلاّ بمعصية اللّه و إيذاء الخلق، و إذا طال أمله ونسي الأخرة و صار غريقاً في الدّنيا فلا يكاد يقدم علىٰ التّوبة و لا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير قلبه كالحجارة أو أشدّ قسوةً.

رابعها: قوله: **وَ لَأٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ اٰذَانَ ٱلْأَنْعَامِ** ألبتك القطع و ألتبتيك التّقطيع و المعنى لأمرَّن النّصيب المفروض من عبادك بعبادة غيرك من الأصنام والأوثان قال بعض المُحققين المراد بالتبتيك هنا هو قطع آذان البحيرة و ذلك أنّهم كانوا يشقّون آذان النّاقة إذا ولدت خمسة أبطن و جاء الخامس ذكراً و حرّموا علىٰ أنفسهم الإنتفاع بها و قال آخرون أنّهم كانوا يقطعون آذان الأنعام تمسّكاً في عبادة الأوثان فهم يظّنون أنّ ذلك عبادة مع أنّه في نفسه كفرٌ و فسق. و الحاصل أنّ الشّيطان أراد بذلك دعاءهم الى البحيرة فيستجيبون له و يعملون بها طاعة له.

خامسها: قوله: **وَ لَأٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ** إختلفوا في معناه فقال إبن عبّاس و غيره أنّه الإخصاء وكرهُوا الإخصاء في البهائم وبه قال سفيان و عكرمة و فى رواية أخرىٰ عن إبن عبّاس أنّ معناه فليغيّرن دين اللّه و به قال إبراهيم و مجاهد و روي ذلك عن أبي جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام قال مجاهد كذب العبد يعني عكرمة في قوله أنّه الإخصاء و أنّما هو تغيير دين اللّه الّذي فطر النّاس عليه في قوله: **فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ**[1] و قال بعضهم المراد بتغيير دين اللّه هو تبديل الحرام حلالاً والحلال حراماً.

و في المقام قول آخر حكاه الزّجاج عن بعضهم و هو أنّ اللّه تعالىٰ خلق

١- الرّوم =٣٠

الأنعام ليركبوها و يأكلوها فحرّموها علىٰ أنفسهم كالبحائر و السّوائب و الرضائل، و خلق الشّمس والقمر والنجوم مسخرات للنّاس ينتفعون بها فعبدها المشركون فغيّروا خلق اللّه فهذه جملة من أقوال المفسّرين في الآية الشّريفة و أكثر المفسّرين علىٰ أنّ المراد بتغيير خلق اللّه هو تغيير دينه أي الخروج عن حكم الفِطرة و ترك الّدين الحَنيف الّذي قال اللّه تعالىٰ: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا**(١).

أقول لو كان المراد من تغيير خلق اللّه تغيير دينه كما إختاره غير واحدٍ منهم بل هو الأشهر عندهم من سائر الأقوال، فلم لم يقل و لامرنّهم فليغيّرن دين اللّه، و قال خلق اللّه، هذا أوّلاً.

ثانياً: نقول أيّ دليلٍ من العَقل والنّقل دلّ علىٰ إرادة الدّين من الخلق و بعبارة أخرىٰ أليس هذا من التصرّف في اللّغة من غير مجوّزٍ عقلي أو شرعي فأنّ الخلق بمعنىٰ المخلوق والدّين عبارة عن مجموع الأحكام و بين المعنيّين بونٌ بعيد فالقول بأنّ المراد بتغيير خلق اللّه تغيير دينه تحكمٌ مَحض و هو ظاهر على المنصِف المحقّق بأدنى تأمّلٍ في اللّفظ و ليت شعري ما الّذي دعاهم الىٰ حمل اللّفظ على غير معناه اللّغوي بغير دليلٍ:

إذا عرفت هذا فنقول الأقوىٰ حمل اللّفظ على معناه اللّغوي فقوله: **فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ** معناه يغيّرن مخلوق اللّه فأنّ المصدر هنا بمعنىٰ المفعول و المراد بتغيير الخلق تغييرهم عمّا كانوا عليه من جهة الخلقة سواء كان حسيّاً كالخصاء و سائر أنواع التّشويه والتّمثيل بالنّاس الّذي حرّمه الشّرع و إذا كان قد حرم تبتيك آذان الأنعام فكيف لا يحرم سمل أعين النّاس وصلم آذانهم وجدع أنوفهم و ما أشبه ذلك ممّا كان يفعله بعض الملوك و الأمراء الظّالمين بغير حقٍّ و لا حجّةٍ و يدخل فيه وشم الأبدان و وشر الأسنان و أمثال ذلك ممّا يقصد به

١- الرّوم =٣٠

الزّينة و فى الحديث لعن اللّه الواشمة والمستوشمة، و فى حديثٍ آخر، لعن اله الواصلات و الواشمات لأنّ المرأة تتّوصل بهذه الأفعال الىٰ الزّنا و أدخل بعضهم فيه السّحاقات لأنّ التّخنث عبارة عن ذكرٍ يشبه الأنثىٰ و السّحق عبارة عن أنثى تشبه الذّكر، ويدخل فيه حلق اللّحى في الرّجال و لبس المرأة لباس الرّجال و بالعكس و أمثال ذلك من الأمور الّتي نشاهدها في الرّجال و النّساء في زماننا هذا أعاذنا اللّه منها و محصّل الكلام في المقام هو أنّ التّغيير في أصل الخلقة من غير ضرورةٍ من إلهامات الشيّطان و وساوسه في قلوب أولياءه منّهي عنه إذا قصد به الزّينة فأنّ اللّه تعالىٰ قد أحَن كلّ شئٍ خَلقه و هؤلاء يفسدون ما خَلق تبعاً للشيّطان هذا ما خطر بالبال في معنى الآية واللّه أعلم.

وَ مَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطٰانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرانًا مُبِينًا

أي هلك هلاكاً ظاهراً و ذلك لأنّ الشّيطان وأعوانه يخرجونهم من النّور الىٰ الظّلمات أي من الإيمان الىٰ الكُفر و من السّعادة الىٰ الشقاوّة قال اللّه تعالىٰ: **وَلِيُّ ٱلَّذينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمٰاتِ إِلَـى ٱلنُّـورِ وَ ٱلَّـذينَ كَفَرُوا أَوْلِيٰآؤُهُمُ ٱلطّٰاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمٰاتِ أُولـٰئِكَ أَصْـحٰابُ ٱلنّـٰارِ هُـمْ فـيهٰا خٰالِدُونَ**(١) و لذلك قال اللّه تعالىٰ بعد ذلك:

يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ مٰا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطٰانُ إِلّٰا غُرُورًا

أي أنّ الشّيطان يعد من يتبعه و يمنّيهم فيعدهم النّصر والظّفر والوصول الى مقاصدهم، لكن ليس ما يعدهم إلاّ غروراً، أي باطلاً و سمّاه غروراً لأنّهم كانوا يظّنون أنّ ذلك حقّ فلمّا بان لهم أنّه باطل كان غروراً **أُولـٰئِكَ مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَ لٰا يَجِدُونَ عَنْهٰا مَحيصًا** أُولئك إشارة الىٰ هؤلاء الّذين إتّخذوا الشّيطان وليّاً من دون اللّه و تابعُوه في معصية اللّه و مَن كان كذلك فلا جرم مأواهم جهنّم

١- البقرة =٢٥٧

يمكن لهم العدول عنها إذا حصلوا فيها ثمّ أنّه تعالىٰ بعد ما ذكر في هذه الأيات أوصاف الشيّطان و أنّه يضلّ و يغوي و أنّ من تبعه في وساوسه مصيره الىٰ جهنّم أردفه بالوعد فقال:

وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّٰالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللّٰهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللّٰهِ قِيلًا ذكر في هذه الآية حكم المؤمن الموحّد فقال والّذين آمنوا.

و أضاف الىٰ ذلك العمل الصالح فقال و عمِلوا الصّالحات لأنّ الإيمان إذا لم يقرن بالعمل لا يترتّب عليه الأجر فكأنّ العمل مظهر للإيمان في الخارج و ما لا وجود له في الخارج لا يترتّب عليه الأثر.

ثمّ أشار اللّه تعالى الى أجزاء الإيمان المقرون بالعمل فقال سندخلهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، ثواباً على أعمالهم وجزاءً لإيمانهم خالدين فيها أبداً، و فى قوله أبداً الّذي نصب علىٰ الحال إشارة الىٰ أنّ هذه الحال ستدوم لهم و تتّأبد و أنّ ذلك وعد حقٌّ من اللّه لهم و من أصدَق من اللّه قيلاً، صورته الإستفهام وحقيقته التّقدّير والأفكار و المعنىٰ ليس أحد أصدق قولاً من اللّه لأنّه لا يخلف الميعاد و لا الإخلال بما يجب عليه من الثّواب، والقيل مصدر يقال قال قولاً وقيلاً و نقل عن إبن السَكيت أنّ القيل والقال إسمان لا مصدران ففي هذه الآية وعد اللّه المؤمنين بالجنّة والخُلود فيها و من كان كذلك فقد فاز فوزاً عظيماً.

لَيْسَ بِأَمٰانِيِّكُمْ وَ لآ أَمٰانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتٰابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَبِهِ وَ لاٰ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيرًا

في، ليس ضمير مقدّر أي ليس الثّواب بأمانيّكم و لا أمانّي أهل الكتاب و الأمانّي يخفّف و يثقّل فيقال بأمانّي و أماني على وزن أفاعل و فعالل كقراقير و قراقر و أختلفوا في معنىٰ الآية.

فقال بعض المفسّرين تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال كلّ واحدٍ منهما للآخر، نحن أهدىٰ منكم فأنزل اللّه تعالىٰ ليس بأمانيكم، أيّها المسلمون أمانّي أهل الكتاب، فأنّ من يعمل منكم سوءٍ يجز به من أيّ فِرقةٍ كان فقال أهل الكتاب للمسلمين نحنٍ وأنتم سواء فأنزّل اللّه تعالىٰ: **وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ** ونقل عن مجاهد أنّه قال أنّ معناه ليس بأمانيكم، يعني أهل الشِّرك من قريش لأنّهم قالوا لا نُبعث و لا نعذّب أمانّي أهل الكتاب أنّهم خير من المسلمين و لا يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى ذهب اليه إبن زيد أيضاً، أقول الحقّ أنّ الخطاب في قوله بأمانّيكم للمشركين و عبدة الأوثان، والمراد بأمانّيهم هو أن لا يكون هناك حشر و لا نشر و لا ثواب و لا عقاب و أن أعترفوا به لكنّهم يصفون أصنامهم بأنّهم شفعائهم عند اللّه و أمّا أماني أهل الكتاب فهو قولهم لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارىٰ و قولهم نحن أبناء اللّه و أحبّاؤه فلا يعذّبنا و قولهم لن تمسّنا النّار إلاّ أيّاماً معدودة و أنّما رجحّنا هذا القول لأنّه لم يجر لأماني المسلمين ذكر فيما سبق و قد جرى ذكر أماني الكفّار في قوله و لأمنّينهم ألخ و يقوى ذلك أنّ اللّه تعالىٰ قد وعد المؤمنين بقوله: **وَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ** بإدخال الجنّة و الخلود فيها و تلك غاية أمانيهم فكيف ينبغي بعد ذلك أمانّيهم اللّهم إلاّ أن يقال أنّ المراد من الآية من كان غاية أمانيه الجنّة بمجرّد الإعتقاد من غير أن يعمل الصّالحات من الأعمال و ملخّص الكلام هو أنّ من يعمل سوء يجز به سواء كان من المسلمين أم كان من غيرهم فأنّ الجزاء مترتّب علىٰ العمل إلاّ أنّ الجزاء قد يكون في هذه الدّنيا و قد يكون في الآخرة والمعاصي صغيرها وكبيرها علىٰ حّدٍ سواء من حيث ترتّب الجزاء عليها و من المفسّرين من قال أنّ المراد بالسُّوء هاهنا الشِّرك فمعنىٰ الآية من يعمل الشِّرك يجز به ذهب اليه إبن عبّاس وسعيد بن جُبير و هو كما ترى و أمّا قوله: **وَ لاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَلِيًّا وَ لاَ نَصِيرًا** معناه لا يجد الّذي يعمل سوءاً من معاصي اللّه و خلاف

أمره وليّاً يلي أمره و ينصره و يحامي عنه و يدفع عنه ما ينزّل به من عقوبة اللّه و لا نصيراً يَنصره ممّا يحّل به من عقاب اللّه و أليم عذابه.

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصّٰالِحٰاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰـٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَ لاٰ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا

قيل أنّه لمّا نزّل قوله تعالىٰ: **مَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَبِهِ** قال، أهل الكتاب للمُسلمين نحن و أنتم سواء فنزّلت هذه الآية أي ليس الأمر كما زعمتم بل الشّرط في ترتّب الجزاء علىٰ العمل الصّالح هو الإيمان فَمن كان مؤمناً و يعمل عملاً صالحاً من ذكرٍ أو أنثىٰ فأولئك يدخلون الجنّة و أمّا غير المؤمن فلا فأنّ اللّه تعالى إنّما يتقبّل من المتقّين قال بعضهم أنّ، مِن، في قوله من الصّالحات زائدة و ليس كذلك بل الحقّ أنّها للتّبعيض و هو يقتضي أنّه لو فعل بعض الصّالحات لأدخل الجنّة، والدّليل علىٰ ما ذهبنا اليه أمران:

أحدهما: أنّها لو كانت زائدة ليصير المعنى من يعمل جميع الصّالحات يدخلون الجنّة و ذلك لأنّ اللاّم في الصّالحات للإستغراق و لا للتقدير و على التقدّيرين تفيد العموم كما ثبت في محّله و معلوم أنّه لا يقدر علىٰ أن يعمل جميع الصّالحات أحد من أفراد الامة.

ثانيها: أنّه إذا أمكن حمل الكلام علىٰ فائدة لم يجز أَن يُحمل علىٰ الزّيادة قال بعض المفسّرين أنّ الآية دلّت على أنّ صاحب الكبيرة لا يبقىٰ مخلّداً في النّار بل ينتقل الىٰ الجنّة و ذلك لأنّه مؤمن فإذا كان قد صلّى و صام و حجّ و زكّى وجب أن يدخل الجنّة، و لزم بحكم الأيات الدالّة على وعيد الفسّاق أن يدخل النّار فأمّا أن يدخل الجنّة ثمّ ينتقل الىٰ النّار فذلك باطل بالإجماع أو يخل النّار ثمّ يدخل الجنّة فذلك هو الحقّ الّذي لا محيد عنه إنتهىٰ كلامه.

أقول ما ذكره هذا القائل عاطل باطل لا يساعده العقل و النّقل لأنّه يلزم منه أن يدخل أبوسفيان و معاوية و يزيد بن معاوية و إبن ملجم و غيرهم من

الفسّاق الّذين قتلوا المؤمنين متعمّداً الجنّة في غاية الأمر و ذلك لأنّهم صلّوا و صاموا و حجّوا و زكّوا في الدّنيا وكانوا من المؤمنين بزعم هذا القائل و أمثاله لأنّ الإيمان عندهم عبارة عن قولهم لا إله إلاّ اللّه مُحمّد رسول اللّه سواء إعتقدوا بقلبهم أم لا و هٰؤلاء كانوا كذلك و لا يقول بهذه المقالة إلاّ من تبع هؤلاء الفسّاق في أفعالهم و أقوالهم و أنّما قالوا ذلك لأنّهم رووا عن أبي هريرة أنّه قال من قال لا إله إلاّ اللّه فقد حَرمت النّار عليه و هو من أهل الجنّة و أمثال ذلك من الاحاديث التيّ إختَرعها أبو هريرة و أمثاله ولم يعلموا أنّ شرط صحّة الإيمان الإعتقاد و الإقرار و العمل الصّالح فمن لا عمل له لا إيمان له و مجرّد القول لا يكفي في تحقّق الإيمان وإلاّ يلزم أن يكون كلّ منافقٍ مؤمِناً لأنّه مقرٌّ بالتّوحيد و لهذا البحث مقام أخر والمقصود أنّ حمل الأيات علىٰ هذه الأباطيل و المستخرجات الوّهمية التّي ألقاها الشّيطان في قلوب أوليائه، جرأةٌ علىٰ اللّه و سيعلم الّذين ظلمُوا أيّ مُنقَلبٍ يَنقلبُون.

و أمّا قوله: **وَ لَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ففيه إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ لا يضيع عمل عاملٍ و لا يظلم علىٰ أحدٍ ولو كان الظُّلم في الصغر مثل النّقطة الّتي في ظهر النّواة، فالنّقير كناية عن الصّغر و قد مرّ مثل ذلك في الأيات السّابقة.

وَ مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا

لمّا ذكر في الآية السّابقة أنّ الإيمان شرط في قبول العمل وحصول النّجاة و الفوز بالجنّة ذكر في هذه الآية أنّ التدّين بالإسلام والإتّصاف بالإيمان يحصل بشروطٍ ثلاثة:

أحدها: التّسليم.

ثانيها: متابعة ملّة إبراهيم.

ثالثها: أن يتّخذه خليلاً لِلّه تعالىٰ كما إتَّخذه اللّه خليلاً.

فالیٰ الأوّل أشار بقوله: **وَ مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ** و هو تقريرٌ في صورة الإستفهام و لا معنى من أحسن ديناً و أصوب طريقاً و أهدى سبيلاً ممّن أسلم وجهه للّٰه يعني إستسلم وجهه للّٰه و المراد بالوجه هاهنا نفسه و ذاته كما قال تعالىٰ: **كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**[1] فإنقاد بالطّاعة و لنبّيه بالتصدّيق والإتّباع و هو محسنٌ، و فيه إشارة الیٰ أنّ مجرّد الإعتقاد والإقرار لا يكفي في حصول المقصود بل لابدّ له من العمل ممّا أمره اللّٰه به بواسطة النّبى.

و الى الثّانى: أشار بقوله: **وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** يعني واتبع الذّي كان عليه إبراهيم و أمر به بنيه من بعده و أوصاهم به من الإقرار بتوحيده و عدله و تنزّيهه عمّا لا يليق به حنيفاً، أي مستقيماً علیٰ منهاجه و سبيله و قد مضى الكلام في معنیٰ الحنيف سابقاً، قال بعض المفسّرين أنّ الإسلام مبنّيٌ على أمرين الإعتقاد والعمل.

أمّا الإعتقاد فاليه الإشارة بقوله: **أَسْلَمَ وَجْهَهُ** و ذلك لأنّ الإسلام الإنقياد و الخضوع و الوجه أحسن أعضاء الإنسان فالإنسان اذا عرف بقلبه ربّه و أقرّ بربوبيّته و بعبوديّته نفسه فقد أعظم وجهه لِلّٰه.

و أمّا العمل فاليه الإشارة بقوله: **وَ هُوَ مُحْسِنٌ** و يدخل فيه فعل الحسنات و ترك السّيئات فتأمل في هذه اللّفظة المختصرة وإحتوائها على جميع المقاصد و الأغراض انتهیٰ كلامه.

أقول في قوله تعالیٰ: **وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** إشارة الیٰ أنّ الإسلام في الحقيقة ليس إلاّ دين إبراهيم فالرّسول صلى الله عليه وآله أنّما دعا الخلق الیٰ دين إبراهيم لأنّ إبراهيم عليه السلام ماكان يدعو إلاّ الى اللّه كما قال عليه السلام أني بريّ ممّا تشركون، و الإسلام الذّي جاء به الرّسول أيضاً كذلك قد تقدّم الكلام فيه سابقاً بما لا مزيد عليه و أمّا قوله: **وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** فقد ذكروا في معنیٰ الخليل أمرين:

١- القصص =٨٨

أحدهما: المحبّة و هو أي الخليل علىٰ هذا القول مشتقّ من الخلّة بضمّ الخاء فالمعنى إتّخذ اللّه إبراهيم محبّاً و تكون خلّة إبراهيم، موالاته لأولياء اللّه و معاداته لأعداءه و خلّة اللّه له نصرته على من أراده بسُوء مثل ما أراد نمرود من إحراقه بالنّار فأنقذه اللّه منها و على حجّته عليه.

الثّاني: أن يكون مُشتّقاً من الخَلّة بفتح الخاء و هى الفَقر قال الشّاعر:

و أن أتــاه خـليلُ يـوم مسألةٍ يـقول لا غـائبُ مـالي ولا حـرمُ

و قال أخر:

وأنّـي و أن لم تسعفاني بـحاجةٍ الىٰ آل ليـلى مـرّة لخـليلي

أي لمحتاج، و أنّما خصّ اللّه تعالىٰ إبراهيم بأنّه خليله من الفقر و أن كان الخلق كلّهم فقراء الى رحمته تشريفاً له بالنّسبة اليه و إختصاصه به من حيث أنّه فقير اليه لا يرجو لسدّ خلّته سواه و أنّما خصّه اللّه من بين سائر أنبياءه بأنّه خليل اللّه على المعنيين المذكورين و ذلك كما خصَّ موسىٰ بأنّه كليم اللّه و خصَّ عيسىٰ بأنّه روح اللّه و خصَّ محمّد بأنّه حبيب اللّه و خصَّ آدم بأنّه صفّي اللّه و خصَّ نوح بأنّه نَجّي اللّه وهكذا و أعلم أنّ الحنّيفية التّي أمر اللّه نبيّه بأن يتَّبع إبراهيم فيها عشرة أشياء خمَسة في الرّأس و خمسة في الجسد.

فالّتي في الرّأس، المضمضة، و الإستنشاق، و السِّواك و قصّ الشّارب، و الفرق لمن يكون طويل الشّعر.

و الّتي في الجسد، الإستنجاء، و الختان، و حلق العانة، ونتف الإبط، و قصّ الأظافر و جميع ذلك مستحّب إلاّ الختان والإستنجاء علىٰ خلافٍ ليس في المقام موضع بحثه وعن الجبائي أنّه قال كلّما كان تعبّد اللّه به إبراهيم فأنّه تَعَبَّد به النّبي صلى الله عليه وآله و أمّته و زاده أشياء لم يتعبّد بها إبراهيم و عموم الآية يقتضي ما قاله.

قال بعض المفسّرين لمّا ذكر اللّه تعالىٰ أنّه إتَّخذ إبراهيم خليلاً لطاعة ربّه و إخلاصه به العبادة و مسارعته الىٰ رضاه بيّن ذلك بفضله لا من حاجةٍ الىٰ خلّته

فقال و كيف يحتاج الى خلّته من لَه ما في السّموات والأرض من قليلٍ و كثيرٍ ملكاً و مع ذلك مستغنٍ عن جميع خلقه وجميع الخلق يحتاجون اليه فكيف يحتاج الىٰ خلّة إبراهيم لكنّه إتَّخذه خليلاً لمسارعته الىٰ رضاه وإمتثاله ما يأمره به.

و قال بعض أخر أنّ كونه خليلاً يوهم الجنّسية فهو سبحانه أزال وَهم المجانسة و المشاكلة بهذا الكلام و فى المقام إحتمال أخر و هو أنّه سبحانه لمّا وصف إبراهيم بأنّه خليله بيَّن في هذه الآية أنّه مَع هذه الخلّة عبده و ذلك لأنّه له ما في السّموات و ما في الأرض و يجري هذا مجرى قوله:

إِنْ كُلُّ مَنْ فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ إِلَّآ اٰتِى ٱلرَّحْمٰنِ عَبْدًا[١].

و مَجري قوله **لَنْ يَسْتَنْكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَ لاَ ٱلْـمَلآئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ**[٢].

أقول ما ذكروه لا بأس به إلاّ أنّ الآية بصدد بيان حكم كلّي و هو أنّ جميع ما في السّموات والأرض في قبضته و تحت قدرته لأنّه تعالىٰ خالق السّموات و الأرض و ما فيهما و اذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فهو تعالى يسأل و لا يُسأل و يقهر و يغلب و لا يُغلب فيفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فلا يسأل عنه لم أعطى إبراهيم الخلّة و آدم أبو البشر الصَّفوة و هكذا لأنّه أعلم بحال عباده و أعرف بإستعداد العباد و لياقتهم و مصلحتهم فأنّه قد أحاط بكلّ شئٍ قدرةً و علماً ولذلك قال وكان اللّه بكلّ شئٍ محيطاً.

■

١- مريم = ٩٣

٢- النساء= ١٧٢

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ
مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَابِ فِى يَتَامَى ٱلنِّسَآءِ
ٱللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ
تَنْكِحُوهُنَّ وَ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ وَ أَنْ
تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَ إِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ
مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَ ٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَ
أُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَ لَنْ
تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ
فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ
تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿١٢٩﴾ وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ
ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

◁ اللّغة

وَ يَسْتَفْتُونَكَ، الإستفتاء طلب الفتوىٰ يقال إستَفتَيت الرّجل في المسألة فأفتاني.

تَرْغَبُونَ الرَّغبة الميل.

نُشُوزًا، نَشَزت نُشُوزاً النَّشز في الأصل المرتفع من الأرض و نشوز المرأة بغضها لزوجها و رفع نفسها عن طاعته يقال إمرأة ناشزة أي مبغضة لزوجها مخالفة إيّاه ٱلشُّحَّ: بضّم الشّين البخل و الباقي واضح.

◁ الإعراب

وَ مَا يُتْلَىٰ في، ما، وجوه:

أحدها: أنّ موضعها جرّ عطفاً علىٰ الضّمير المجرور، بفي، و هذا على قول الكُوفيين لأنّهم يجيزون العطف على الضّمير المجرور من غير إعادة الجارّ.

الثّاني: أنّها في موضع نصب علىٰ معنى و نبيّن لكم ما يتلىٰ.

الثّالث: أنّها في موضع رفع عطفاً علىٰ الضّمير الفاعل في يفتيكم أو علىٰ إسم اللّه و هو قل اللّه أو أنّه مبتدأ والخبر محذوف تقديره و ما يتلى عليكم في الكتاب يبيّن لكم، و، في، تتعلّق، بيتلى و يجوز أن تكون حالاً من الضّمير في، يتلىٰ، وفِي يَتَامَى تقديره حكم، يتامىٰ، ففي الثّانية تتعلّق بما تعلّقت به الأُولىٰ لأنّ معناها مختلف فالأولى ظرف و الثّانية بمعنىٰ الباء أي بسبب اليتامى و يتامى النّساء، أي في اليتامى منهنّ و قيل التّقدير في النّساء اليتامى، فأضاف الصّفة الىٰ الموصوف وَ تَرْغَبُونَ معطوف علىٰ تؤتون و التّقدير، ترغبون و قيل أنّه حال أي و أنتم ترغبون في أن تنكحوهنّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ في موضع جرٍّ عطفاً على المجرور في يفتيكم فيهنّ و كذلك وَ أَنْ تَقُومُوا معطوف على الضّمير المجرور من غير إعادة الجارّ و يجوز أن يكون في موضع نصب عطفاً علىٰ موضع، فيهنّ، و التّقدير و يبيّن لكم حال المستضعفين، و الاحسن أن يكون معطوفاً علىٰ يتامىٰ النّساء، و أن تقوموا معطوف عليه أيضاً أي و فى أن تقوموا وَ إِنِ ٱمْرَأَةٌ إمرأة مرفوع بفعلٍ محذوف أي و أن خافت إمرأة و قال الكوفيّون هو مبتدأ و ما بعده الخبر مِنْ بَعْلِهَا متعلّق بخافت و يجوز أن يكون حالاً من، نشوزاً، و صلحاً، علىٰ هذا مصدر واقع موقع، تصالح، وَ أُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ أحضرت يتعدّى الىٰ مفعولين، والمفعول الأوّل، الأنفس و هو القائم مقام الفاعل كُلَّ ٱلْمَيْلِ إنتصاب كلّ على المصدر لأنّ لها حكم ما تضاف اليه فَتَذَرُوهَا جواب النّهي فهو منصوب و يجوز أن يكون معطوفا على، تميلوا فيكون مجزوماً كَالْمُعَلَّقَةِ الكاف في موضع نصب علىٰ الحال أي حال كونها كذلك.

◁ التّفسير

وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ الخطاب للنّبي ﷺ أي أنّ النّاس يسألونك أن تفتيهم في أمر النّساء قل لهم أي قل لهم يا محمّد أنّ اللّه يفتيكم فيهنّ يعني في النّساء **وَ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَابِ فِى يَتَامَى ٱلنِّسَآءِ ٱللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ** إختلفوا في معناه فقال قوم أنّ الذّي يُتلىٰ عليكم هو أيات الفَرائض التّي في أوّل السُّورةلأنّ أهل الجاهلّية كانوا لا يورثون المولود حتّىٰ يكبر و لا يورثون المرأة فأنزل اللّه أية الميراث أوّل السُّورة و هو معنىٰ، اللاّتي لا تؤتوهنّ ما كتب لهنّ.

و قال أخرون كان الرّجل في حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال فكان يرغب عنها أن يتّزوجها و يحبسها لمالها طمعاً أن تموت فيرثها فنزلت الأية.

و عن السّدي أنّه قال، كان لجابر بن عبد اللّه الأنصاري بنت عمٍّ تسمّىٰ بسلمىٰ و كانت عمياء ذميمة قد ورثت عن أبيها مالاً فكان جابر يرغب عن نكاحها و لا ينكحها مخافة أن يذهب الزّوج بمالها فسأل النّبي عن ذلك أترث اذا كانت عمياء فقال ﷺ نعم فأنزل اللّه فيه هذه الآية.

و قيل معناه يفتيكم فيهنّ و فيما يتلىٰ عليكم في أخر السُّورة من قوله: **وَ يَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ** في الكلالة ذهب اليه ابن جبير، و قالت عائشة كان الرّجل تكون في حجره اليتيمة تشاركه في ماله فيعجبه مالها و جمالها فيريد وليّها أن يتّزوّجها من غير أن يقسط في صداقها فنهىٰ اللّه عن ذلك في قوله: **وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى ٱلْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا**(١) من غيرهنّ ما طاب لكم، قالت وقوله: **مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ** هو ما ذكره في أوّل السُّورة من قوله: **وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا**.

و منهم من قال نزلت الآية في قوم من أصحابه ﷺ سألوه عن أشياء من أمر النّساء و تركوا المسألة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها فأفتاهم اللّه فيما سألوا

١- النساء = ٢

عنه و فيما تركوا المسألة عنه ذهب اليه محمّد بن أبي موسىٰ و هذه الأقوال نقلناها عن التّبيان للشّيخ الطّوسي ﷺ **وَ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدٰانِ** قيل هو مجرور معطوف علىٰ يتامىٰ النّساء كانوا في الجاهلّية لا يورثون الأطفال النّساء و أنّما يورثون الرّجال الّذين بلغوا الىٰ القيام بالأمور العظيمة دون الأطفال و النّساء **وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰامىٰ بِالْقِسْطِ** و هو مجرور معطوف علىٰ المستضعفين و تقدير الآية و ما يتلىٰ عليكم في الكتاب يفتيكم في يتامىٰ النّساء و فى المستضعفين و فى أن تقوموا لليتامىٰ بالقسط **وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيمًا** يجازيكم عليه و لا يضيع عند اللّه منه شئ فأنّ اللّه لا يضيع أجر المحسنين.

وَ إِنِ ٱمْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزًا أَوْ إِعْرٰاضًا فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحًا وَ ٱلصُّلْحُ خَيْرٌ

قَرَأ أهل الكوفة أن **يُصلحا**، بضّم الياء و كسر اللاّم و سكون الصّاد والباقون، **يصالحا** بتشديد الصّاد فمن شدَّد الصّاد قال معناه يتَّصالحا و يكون قوله: **صُلْحًا** لا مصدراً و من قرأ بخلافه قال هو مصدر، و الآية نزلت لبيان حكم النُّشوز و إشتقاقه من النّشز و هو ما إرتفع من الأرض و نشوز الرّجل في حقّ المرأة أن يعرض عنها و يعبس وجهه في وجهها و يترك مجامعتها ويسئ عشرتها **وَ إِنِ ٱمْرَأَةٌ خٰافَتْ** أي علمت من بعلها أي من زوجها، نشوزاً، أي استعلاءً بنفسه عنها الىٰ غيرها و إرتفاعاً بها عنها أمّا لبغضه و أمّا لكراهةٍ منه شيئاً منها إمّا ذمامتها و أمّا سنّها و كبرها أو غير ذلك، أو إعراضاً، يعني إنصرافاً بوجهه عنها، فلا جناح عليهما أي لا حرج عليهما أن يصلح بينهما صلحاً، بأن تترك المرأة له يومها أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقةٍ أوكسوةٍ و غير ذلك قاله الشّيخ في التّبيان.

روي سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنّها نزلت في ابن أبي السّائب كانت له زوجة و له منها أولاد و كانت شيحة فهَّم بطلاقها فقالت لا تطّلقني و دعني

أشتغل بمصالح أولادي وأقسم في كلّ شهر ليالي قليلة فقال الزّوج أن كان الأمر كذلك فهو أصلح لي.

و قيل نزلت في سؤدة بنت زمعة أراد النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يطلّقها فإلتمست أن يمسكها و يجعل نوبتها لعائشة فأجاز النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ذلك ولم يطلّقها.

و عن عائشة أنّها نزلت في المرأة تكون عند الرّجل ويُريد الرّجل أن يستبدل بها غيرها فتقول أمسكني و تزّوج بغيري و أنت في حلٍّ من النّفقة و القسم، ثمّ أنّ قوله: **وَ ٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** لا شكّ أنّ الصُّلح مفرد دخل فيه حرف التّعريف والفرد الّذي دخل فيه حرف التّعريف هل يفيد العموم أم لا فيه بحث لا طائل تحته و ذلك لأنّ الواو في قوله: **وَ ٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** أن كانت للعطف **فالّلام** فيه للعهد الذّكري والمعنىٰ أن الصُّلح المعهود بين الزّوجين خير من عدمه و إن قلنا أنّ الواو للإستئناف فقوله: **وَ ٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** جملة مستأنفة أي أنّ جنس الصُّلح أوكلّ الصُّلح خير في جميع الموارد سواء كان بين الزّوجين أم بين غيرهما لأنّ اللاّم علىٰ تقدير عدم العطف للإستغراق أو الحبس وكلاهما يفيدان العموم **وَ أُحْضِرَتِ ٱلْأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ** الشُّح بضّم الشّين البخل والمراد أنّ الشُّح و لبخل جعل كالأمر اللازم للنّفوس يعني أنّ النّفوس معطوفة علىٰ الشُّح قلّ أوكثر فيحتمل أن يكون المراد أنّ المرأة تشّح ببذل نصيبها و حقّها، و يحتمل أن يكون المراد أنّ الزّوج يشّح بأن يقضي عمره مع الزّوجة مع دمامة وجهها وكبر سنّها و عدم حصول اللّذة بمجانستها و مجالستها، فكأنّ هذا الشُّح الذّي في نفوس البشر صار باعثاً علىٰ الإختلاف بين الزّوجين **وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** أي و إن تحسنوا بالإقامة علىٰ نساءكم في صورة الكراهة، ويحتمل أن الخطاب لهما أي و أن يحسن كلّ واحدٍ منكما الىٰ صاحبه ويحترز عن الظّلم.

و في المقام إحتمال ثالث، و هو أن يكون الخطاب لغير الزّوجة والزّوج بل بأن يكون المخاطب بهذا الكلام كلّ من كان بصدد الإصلاح بينهمافالمعنىٰ أن

تحسنُوا أيّها المصلحين في المصالحة بينهما و تتّقوا الميل الىٰ واحدٍ منهما فأنّ اللّه كان بما تعملون خبيراً.

نقل صاحب الكشّاف أنّ عمران بن حطّان الخارجي كان من أذم بني آدم و إمرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها ثمّ تابعت الحمد للّه، فقال مالك، قالت حمدت اللّه علىٰ أنّي و إيّاك من أهل الجنّة، قال كيف، قالت لأنّك رزقت مثلي فشكرت و رزقت مثلك فصبرت و قد وعد اللّه الجنّة عباده الشّاكرين والصّابرين.

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوٓا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللّٰهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

إعلم أنّه تعالىٰ بيّن في هذه الأية، من تجاوز الواحدة مِنهنّ فمراعاة تحصيل العَدل بينهنّ والتسّاوي بالمحبّة والمودّة و الميل القلبي و النّظر و نحو ذلك من الأُمور اللاّزمة لإيجاد العدل الحقيقي من قبيل المُمتنع غالباً ولو بذل في تحصيل الجُهد لأنّ مقتضىٰ الطّبيعة و ما جبلّت عليه لا يتّغير فلا يكلّف اللّه به العباد لعدم كونه في وسع المكلّف بهما ما كان مقدوراً منه تجب مراعاته اذ لا يسقط الميسور بالمعسور.

اذا عرفت هذا فنقول قوله: **وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوٓا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** إشارة الىٰ ما ذكرناه من عدم إمكان إجراء العدل بينهنّ ولو كان الزّوج حريصاً عليه و لذلك أتىٰ بكلمة، لن، التّي لنفي الأبد فقال لن تستطيعوا و لم يقل لا تستطيعون أو ما تستطيعون أو لا تقدرون و أمثال ذلك من التّعابير، فهو مثل قوله تعالىٰ: **لَن تَراني يا مُوسىٰ** أي لن تراني في الدّنيا والأخرة أو لَن تراني أبداً و ما نحن فيه من هذا القبيل فالمعنىٰ لن تستطيعوا علىٰ إجراء العدل بمعناه الواقعي في جميع الشّئون أبداً والوجه فيه واضح لأنّ الحبّ و الميل اليهنّ تابع لما فيه من الشّهوة وميل الطّبع و ذلك فعل اللّه و لا صنع للخلق فيه

و أن حرص علىٰ ذلك كلّ الحرص و أمّا إجراء العدل بينهنّ في النّفقة والكسوة و القسمة فهو أمرٌ ممكن مقدور للعبد و بذلك قد ظهر لك أنّ المراد بالعدل في الآية ليس العدل في النّفقة و الكسوة و القسمة بل العدل في المحبّة والميل اليهنّ و هو الذّي لا يستطيع العبد الوصول اليه **فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** أي اذا لم تقدروا علىٰ إجراء العدل بين النّساء بحقيقة معناه في المودّة والمحبّة لأنّه خارج عن قدرتكم و لا يكلّف اللّه نفساً إلاّ وسعها فلا تميلوا الىٰ واحدة منهنّ كلّ الميل بحيث تتركوا الأخرىٰ فتذروها كالمعلّقة التّي لا هي ذات زوج فيستفيد منه و لا هي أرملة فتتزّوج و تذهب لشأنها.

و قال بعضهم معناه فلا تعدلوا بأهوائكم عمّن لم تملكوا محبّة منهنّ كلّ الميل حتّىٰ يحملكم ذلك علىٰ أن تجوروا علىٰ صواحبها في ترك أداء الواجب لهنّ عليكم من حقّ القسمة و النّفقة و الكسوة و العشرة بالمعروف وبه قال أكثر المفسّرين و المآل واحد.

وروي أنّ الآية نزلت في عائشة وروي أبو قلابة عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه كان يقسم بين نساءه و يقول اللّهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك أملك.

وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

أي و أن تصلحوا في القِسمة بين الأزواج والتّسوية بَينهُنّ في النّفقة والكسوة وغير ذلك، وتتّقوا، في المستقبل عن المعاودة الىٰ الميل الّذي نهيتم عنه، فأنّ اللّه كان غفوراً، لما سلف من الذّنوب الحاصلة بسبب التّقصير في حقوقهنّ، رحيماً، بكم حيث جعل طريق إستحطاط المعاصي بالتّوبة والتّفضل عليكم، ففي الآية دلالة علىٰ تحريم الميل الكلّي وإيجاب التّسوية في الأمور الواجبة و إستحبابها في غيرها.

فقد رُوي عن الصّادق عن أباءه عليهم السّلام أنّ النّبي صلى الله عليه وآله: كان يقسم بين نساءه في مَرضه فيُطاف به بينهنّ، و أنّ عليّاً عليه السلام كان له

إمرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتّوضيئ في بيت الأُخرىٰ.

روي في الكافي أنّ ابن أبي العَوجاء سأَل هشام بن الحَكم فقال: أَلَيس اللّه حكيماً فقال بلىٰ و هو أحَكم الحاكمين قال فأخَبَرني عن قوله تعالىٰ: **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** (١) اَلَيس هذا فَرض قال بلىٰ، قال فأخبرني عن قوله تعالىٰ: **وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوٓا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ** أيّ حَكيم يتكّلم بهذا فلم يكن عنده جواب فَرحل الىٰ المدينة الىٰ أبي عبد اللّه عليه‌السلام و سَأله عن ذلك فأجابه عليه‌السلام بأنّ قوله: **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا** يعني في النفّقة وقوله: **وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوٓا أَنْ تَعْدِلُوا** يعني في المَوّدة إنتهىٰ.

وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا

أي و أن يتفرّقا بأن أبىٰ كلّ واحدٍ منهما مصالحة الآخر مثل أن تُطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفّقة والكسوة و يمتنع الزّوج من إجابتها الىٰ ذلك لِمَيله الىٰ الأخرىٰ و محبّته لها أمّا لصغر سنّها أو لجمالها أو غير ذلك، أو أن يُطالب الزّوج من المرأة حقّه المشروع و تمتنع الزّوجة من إجابته حتّىٰ يتفرقا بالطّلاق فأنّ اللّه يغني كلّ واحدٍ منهما من سعته يعني من فضله و رزقه والمقصود أنّ الإفتراق لهما خير من الإقتحام في الهلكات بسبب التّعدي لكلّ واحدٍ منهما علىٰ الآخر، وكان اللّه واسعاً حكيماً، يعني أنّ اللّه تعالىٰ كان لَم يزل هكذا واسع الفضل علىٰ عباده رحيماً بهم فيما يدّبرهم به و فيها دلالة علىٰ أنّ الأرزاق كلّها بيد اللّه و هو الّذي يتّولاها لعباده و أن كان ربّما أجراها علىٰ يدي من يشاء من عباده، و قال إبن عبّاس، كلاً من سعته، يعني من رزقه.

■

١- النّساء =٣

وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ وَ لَقَدْ
وَصَّيْنَا ٱلَّذينَ أُوتُوا ٱلْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّٰاكُمْ
أَنِ ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِى
ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ وَ كٰانَ ٱللّٰهُ غَنِيًّا
حَميدًا «١٣١» وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى
ٱلْأَرْضِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكيلًا «١٣٢» إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنّٰاسُ وَ يَأْتِ بِاٰخَرينَ وَ كٰانَ ٱللّٰهُ
عَلىٰ ذٰلِكَ قَديرًا «١٣٣» مَنْ كٰانَ يُريدُ ثَوٰابَ
ٱلدُّنْيا فَعِنْدَ ٱللّٰهِ ثَوٰابُ ٱلدُّنْيا وَ ٱلْاٰخِرَةِ وَ كٰانَ
ٱللّٰهُ سَميعًا بَصيرًا «١٣۴» يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا
كُونُوا قَوّٰامينَ بِالْقِسْطِ شُهَدٰآءَ لِلّٰهِ وَ لَوْ عَلىٰٓ
أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوٰالِدَيْنِ وَ ٱلْأَقْرَبينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقيرًا فَاللّٰهُ أَوْلىٰ بِهِمٰا فَلاٰ تَتَّبِعُوا ٱلْهَوىٰٓ أَنْ
تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللّٰهَ كٰانَ بِمٰا
تَعْمَلُونَ خَبيرًا «١٣۵» يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوٓا اٰمِنُوا
بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتٰابِ ٱلَّذى نَزَّلَ عَلىٰ
رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتٰابِ ٱلَّذىٓ أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ
يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَ مَلآٰئِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ ٱلْيَوْمِ
ٱلْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلًا بَعيدًا «١٣۶» إِنَّ ٱلَّذينَ
اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدٰادُوا
كُفْرًا لَمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاٰ لِيَهْدِيَهُمْ
سَبيلًا «١٣٧»

◁ اللّغة

وَصَّيْنَا،الوَصّية التَّقدم الىٰ الغير بما يعمل به مقترناً بوعظٍ من قولهم أرضٌ و اصّية متّصلة النّبات وجاءت بمعنىٰ إنشاء الفضل أيضاً من قولهم، وصّىٰ، أنشأ فضله. تَلْوُوٓا من لَويت فلاناً حقّه ليّاً اذا دفعته به، و الفعل منه، والأصل فيه، لَوَىٰ، قُلّبت الياء ألفاًلحركتها و حركة ما قبلها و المصدر، لَيّاً، و الأصل، لَوياً، ولويّاناً، ثمّ أُدغمت الواو في الياء و قيل، تَلُووا، من اللَّي في الشّهادة و الميل الىٰ أحَد الخصمين وقرأ ابن عامر والكوّفيون، تَلُوا بضّم اللاّم، بعدها واو واحدة ساكنة، حجّة من قرأ بالواوين أن يقول لا ينكر أن يتَّكرر اللّفظان بمعنىٰ واحد علىٰ وجه التّأكيد نحو فسجد الملائكة كلّهم أجمعون و حجّة من قرأ بواوٍ واحدة أن يقول أنّه من الولاية و ولاية الشّيء إقبال عليه و خلاف الإعراض عنه فيكون المعنىٰ أن تقبلوا أو تعرضوا فالقراءة بواوين تفيد معنىٰ واحداً و هو الأعراض، والقراءة بواوٍ واحدة تفيد معنيين الولاية والإعراض.

◁ الإعراب

و إيّاكُمْ معطوف علىٰ اللّذين و حكم الضّمير المعطوف أن يكون منفصلاً أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ في موضع نصب عند سيبويه وجرّ عند الخليل و التّقدير، بأن إتّقوا اللّه، و أن علىٰ هذا مصدّرية شُهَدَآءَ خبر ثانٍ و يجوز أن يكون حالاً من الضّمير في قوامّين عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ يتّعلق بفعلٍ دلّ عليه شهداء أي ولو شَهَدتُم و يجوز أن يتّعلق، بقوامّين، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا إسم كان مضمر فيها دلَّ عليه تقَّدم ذكر الشّهادة أي إن كان الخصم أَنْ تَعْدِلُوا مفعول له.

◁ التّفسير

وَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمٰوٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ اللاّم في اللغة للملك أي أنّ اللّه تعالىٰ مالك السّموات والأرض، قال المفسّرون في وجه ربط الآيـة بـما

قبلها، أنّه تعالىٰ لمّا ذكر و أن يتّفرقا يغنّي اللّه كلاًّ من سعته، بيّن في هذه الآية أنّ له ملك السّموات والأرض و ما فيهما، و اذا كان كذلك فلا يتّعذر عليه إغناء كلّ واحدٍ من الزّوجين عند التّفرق، ولقائل أن يقول هذا يتّم بناءً علىٰ كون الواو في قوله: **وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ** للعطف و أمّا اذا كانت للإستئناف فلا حاجة الىٰ وجه الرّبط.

ثانياً: أنّ ترتيب الأيات ليس علىٰ ترتيب النُّزول و عليه فكلّ أيةٍ ناظرة الىٰ ما فيها من الحكم و كيف كان لا شكّ في أصل الحكم و هو أنّ للّه ما في السّموات و ما في الأرض، و كيف و هو تعالىٰ خالقهما و خالق ما فيهما و الخالق مالك لمخلوقه حقّاً.

وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّٰاكُمْ

أي ولقد وصّينا الأمم الّذين أوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصّارىٰ وغيرهما، وإيّاكم أيّها المسلمُون أي أنتم أيضاً داخلُون في الوصّية وفيه إشارة الىٰ أنّ الوصّية بالتّقوىٰ لا يختّص بأمّةٍ دون أمّةٍ بل هي عامّة شاملة لجميع الأمم و ذلك من باب الإشتراك في التّكليف بالنسبّة الىٰ التّقوىٰ التّي هي الأصل في جميع الأديان و لذلك قال: **أَنِ ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ** أي بأن إتّقوا اللّه وأحذروا أن تعصوه و تخالفوا أمره و نهيه **وَ إِنْ تَكْفُرُوا** أي أن تجحدوا وصّيته إيّاكم فتخالفوها **فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ** يعني له مُلك ما فيهما و هو الخالق والمالك و المنعم بأصناف النِّعم كلّها فحقٌّ علىٰ كلّ عاقل أن يكون منقاداً لأوامره و نواهيه.

و قيل أنّ المعنىٰ إن تكفروا فأنّ للّه ما في سماواته و ما في أرضه من أصناف المخلوقات من يعبده ويَتّقيه والىٰ هذا أشار بقوله: **وَ كٰانَ ٱللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** أي غنّياً عن خلقهم و عبادتهم و مستّحقاً لأنّ يحمد لكثرة نعمه، و أن لم يحمده أحدٌ منهم فهو في ذاته محمود سواء حمدوه أولم يحمدوه ثمّ قال

تعالىٰ: **وَلِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكيلًا** يعني كفىٰ اللّٰه حافظاً، فأن قيل ما وجه التّكرير في قوله: **وَلِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ** قلنا ذكروا فيه وجوهاً.

أحدها: ما ذكره الشّيخ في التبيّان و هو أنّ الوجه فيه هو إختلاف الخبرين، الأوّل في الآية الأولىٰ عن حاجة الخلق الىٰ بارئه و غناه تعالىٰ عن خلقه.

و في الثّانية: حفظ اللّه تعالىٰ أيّاهم و علمه بهم و تدبيره لهم، فأن قيل هلاّ قال: **وَ كٰانَ ٱللّٰهُ غَنِيًّا حَميدًا** أو كفىٰ به وكيلاً قيل ما ذكره في الآية الأولىٰ يصلح أن يختم به وصف اللّه تعالىٰ بالغناء وأنّه محمود ولم يذكر فيها ما يقتضي وصفه بالحفظ والتّدبير فلذلك كرّر قوله: **وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ** انتهىٰ كلامه قدّس سرّه.

ثانيها: ما ذكره الرّازي في تفسيره قال ذكر هذه الكلمات في هذه الأيات ثلاث مرّات لتقرير ثلاثة أُمور:

فأوّلها: أنّه تعالىٰ قال و إن يتّفرقا يُغنِ اللّه كلاًّ من سعته والمراد منه كونه تعالىٰ جواداً متفضّلاً فذكر عقيبه قوله: **وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ**. والغرض تقرير كونه واسع الجود والكرم.

ثانيها: قال: **وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ** والمراد منه أنّه تعالىٰ منزّه عن طاعات المطيعين و عن ذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطّاعات و لا ينقص بالمعاصي و السّيئات فذكر عقيبه فأنّ للّه ما في السمٰوات و ما في الأرض والغرض منه تقرير كونه غنيّاً لذاته عن الكلّ.

ثالثها: قال: **وَ لِلّٰهِ مٰا فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى ٱلْأَرْضِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكيلًا** إن يشاء يذهبكم أيّها النّاس و يأت بآخرين الآية و المراد منه أنّه قادر علىٰ الإفناء و الإيجاد فأن عصيتموه فأنّه قادر علىٰ إعدامكم و إفنائكم بالكليّة و علىٰ أن يوجد قوماً آخرين يشتغلون بعبوديّته فالغرض كونه تعالىٰ قادراً علىٰ جميع المقدورات انتهىٰ موضع الحاجة من كلامه.

و قال صاحب الكشّاف تكرير قوله ولله ما في السّموات و ما في الأرض تقرير لما هو موجب تقواه ليتّقوه فيطيعوه و لا يعصوه لأنّ الخشية والتّقوىٰ أصل الخير كلّه انتهىٰ كلامه.

أقول هذه أصول الوجوه الّتي ذكروها المفسّرون في المقام و لكلّ واحدٍ منها وجهٌ وجيه والله أعلم.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا

أي أن يشاء الله يهلككُم و يفنيكم كما أوجدكم و يأت بقومٍ آخرين غيركم وكان الله علىٰ ذلك قديراً و ذلك لأنّه القادر علىٰ الإيجاد الإفناء لكنّه لم يشاء لكونه غنيّاً عن الخلق و عبادتهم.

و رُوي عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّ لمّا نَزلت هذه الآية ضَرَب بَيده علىٰ ظهر سلمان فقال: هُم قوم هذا رواه أبو هُريرة عن النّبي صلّى الله عليه وآله، أقول صَدق رسول الله صلّى الله عليه وآله و لا ينكره إلاّ مُعانِدٌ جهُول أو مُتّعصبٌ أعمىٰ الله قَلبه.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِنْدَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْآخِرَةِ وَ كَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا قال في التبيّان في تفسير الآية ما لفظه.

ثمّ أخبر تعالىٰ من كان ممّن أظهر الإيمان بمحمّد من أهل النّفاق الّذين يبطنون الكفر و يظهرون الإيمان يريد ثواب الدّنيا يعني عرض الدّنيا بإظهاره بلسانه في الإيمان فعند الله ثواب الدّنيا، يعني جزاءه في الدّنيا منها وثوابه فيها ما يأخذه من الفيء والغنيمة إذا شهد مع المسلمين الحرب و أمنه علىٰ نفسه و ماله و ذرّيته و أمّا ثوابه في الأخرة فنار جهنّم انتهىٰ كلامه.

أقول ما ذكره قدّس سرّه في تفسير الآية لا يتّم إلاّ علىٰ القول بأنّ الآية وعيدٌ للمنافقين و لا دليل عليه إلاّ مجرّد الإحتمال و هو ضعيف جدّاً و إذا كان كذلك فحمل الآية علىٰ العموم أولىٰ والمراد بالعموم أنّها بَصدد بيان حكمٍ كلّي

لجميع النّاس وتقريره أنّ النّاس في أعمالهم و ما يقصدون بها على ثلاث أصناف.

صنفٌ يقصد بعمله ثواب الدّنيا، و صنف يقصد ثواب الأخرة، و صنف يقصد به ثواب الدّنيا والأخرة، لا بحث لنا في الأخيرين و أنّما البحث في الأوّل والآية ناظرة اليه فالمعنىٰ أنّ الّذين يريدون بأعمالهم ثواب الدّنيا فقط مخطئون في قصدهم هذا و ذلك لأنّ عند اللّه ثواب الدّنيا و الأخرة جميعاً فما بالهم يقنعون بأحدهما دون الأخر مع أنّ ثواب الدّنيا بالنّسبة الىٰ ثواب الأخرة كالعدم كما أنّ الدّنيا و متاعها بالنّسبة الىٰ الأخرة كذلك والعاقل لا يأخذ القليل و يترك الكثير فينبغي للعاقل أن يعمل لتحصيل ثواب الأخرة أو هما معاً حتّىٰ يحصل له ما أراد مضافاً الىٰ ثواب الأخرة و محصّل الكلام في الآية هو التّرغيب في العمل متّقرباً الىٰ اللّه و طلباً لمرضاته و فى قوله: **وَكَانَ ٱللَّـهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** إشارة الىٰ أنّه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شيء من المسموعات و المبصرات.

يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ثمّ خاطب اللّه تعالىٰ المؤمنين فقال: **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** القوّام مبالغة من قائم، و القسط العدل فهذا أمرٌ منه تعالىٰ لجميع المكلّفين بأن يكونوا مبالغين في العدل والإحتراز عن الجور و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ قائم بالقسط:

قال اللّه تعالىٰ: **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَ ٱلْمَلَآئِكَةُ وَ أُولُو ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّـهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**(٢).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَ ٱلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**(٣).

١- آل عمران =١٨
٢- سورة المائدة آية ٤٢
٣- الأنعام =١٥٢

قال اللّٰه تعالىٰ: **قُلْ أَمَرَ رَبّى بِالْقِسْطِ**[١].

قال اللّٰه تعالىٰ: **وَ نَضَعُ ٱلْمَوٰازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ**[٢].

و غيرها منها و ضدّ القسط الجور و هو مبغوض لِلّٰه تعالىٰ و لا خفاء فيه **شُهَدٰآءَ لِلّٰهِ وَ لَوْ عَلىٰٓ أَنْفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوٰالِدَيْنِ وَ ٱلْأَقْرَبِينَ** شُـهداء جمع شَهيد ونصب شهداء علىٰ الحال من الضّمير في قوله، قوّامين، و هو ضمير، الّذين آمنوا، قالوا معناه تقيمون شهادتكم لوجه اللّه كما أُمرتم بـإقامتها ولو كانت الشّهادة علىٰ أنفسكم أو آباءكم أو أقاربكم و أنّما قدّم القيام بالقسط علىٰ الشّهادة لأنّ الشّهادة علىٰ وجهها تتّوقف علىٰ العدالة فمن كان قائماً بالقسط يشهد كما أمره اللّه و هو واضح.

إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلىٰ بِهِمٰا والمقصود لا تميلوا في شهادتكم لغنىٰ غنّي و لا فقر فقيرٍ فتجوروا فأنّ اللّه قد سوَّىٰ بينهما فيما ألزَمَكم من إقامة الشّهادة لكلّ واحدٍ منها بالعدل و هو تعالىٰ أولىٰ بهما وأحقّ لأنّه مالكهما و خالقهما دونكم و هو أعلم بالمصالح منكم **فَلاٰ تَتَّبِعُوا ٱلْهَوىٰٓ أَنْ تَعْدِلُوا** أي فلا تتّبعوا أهواءكم في شهادتكم فتعدلوا عن الحقّ أي تجوز عنه وتضّلوا ولكن قوموا بالقسط و أدّوا ما علىٰ ما أمركم اللّه عزّ وجلّ بإداءها قال إبن عبّاس أمر اللّه سبحانه المؤمنين أن يقولوا الحقّ ولو علىٰ أنفسهم أو أبناءهم و لا يحابوا غنيّاً لغناه و لا مسكيناً لمسكنته **وَ إِنْ تَلْوُوٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** من حمل الآية علىٰ أنّها نزلت في الحكّام قال معناه و إن تلووا أيّها الحكّام في الحكم أو تعرضوا فأنّ اللّه كان بما تعملون خبيراً و عن إبـن عبّاس أنّه قال هما الرّجلان يجلسان بين القاضي فيكون ليّ القاضي و إعراضه لأحدهما علىٰ الأخر.

١- الأعراف =٢٩ ٢- الأنبياء =٤٧

و قال آخرون معناه و أن تلووا أيّها الشّهداء في شهادتكم فتحرّفوها فلا تقيموها أو تعرضوا عنها فتتركوها ذهب اليه مجاهد و قال معنىٰ تلووا تبدلوا الشّهادة أو تعرضوا أي تكتموها و هو قول أبي جعفر عليه السلام وبه قال إبن زيد قال في التبيّان و أولىٰ التأويلين قول من قال أنّه ليّ الشّهادة لمن شهد له أو عليه بأن يُحرّفها بلسانه أو يتركها فلا يقيمها ليبطل بذلك شهادته وإعراضه عنها فلو تُركت إقامتها فلا يشهد بها وسياق الآية يدّل علىٰ ما قال إبن عبّاس انتهىٰ كلامه.

و قال صاحب الكشّاف معناه و أن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحقّ أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشّهادة بما عندكم و تمنعوها و قُرأ **وَ إِنْ تَلُوُا أَوْ تُعْرِضُوا** بمعنىٰ أن وليّتم إقامة الشّهادة أو أعرضتم عن إقامتها انتهىٰ.

أقول قال الرّاغب في المفردات، اللّي فعل الجهل، و لوىٰ لسانه بكذا كناية عن الكذب و تخرّص الحديث انتهىٰ كلامه.

فعلىٰ هذا يصير معنىٰ الكلام و أن تكذبوا في الشّهادة أو تعرضوا عنها بالكليّة فأنّ اللّه كان بما تعملون من الكذب والإعراض خبيراً.

قال اللّه تعالىٰ: **وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ اَلْكِتابِ وَما هُوَ مِنَ اَلْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللّهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ**(١).

فقد فسّر اللّه تعالىٰ هذه الكلمة في هذه الآية والقرآن يفسّر بعضه بعضاً فلا يحتاج الىٰ التكلّفات الّتي احتملوها في تفسير الكلام في الآية المبحوثة عنها.

يآ أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوٓا آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اَلْكِتابِ اَلَّذِي نَزَّلَ عَلىٰ رَسُولِهِ

١- آل عمران =٧٨

لمّا خاطب المؤمنين في الآية السّابقة وأمرهم بالقسط و العدل خاطبهم في هذه الآية و أمرهم بالإيمان حقّاً فقال: **يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِـاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ** والكتاب الّذي أنزل من قبل باطناً و واقعاً ليطابق باطنكم ظاهركم، قال المفسّرون يكون الخطاب خاصّاً بالمنافقين الّذين كانوا يظهرون خلاف ما يظنّون، و الكتاب الّذي نزّل علىٰ رسوله هو القرآن أمرهم بالتّصديق به والكتاب الّذىّ أنزل من قبل يعني التّوراة و الإنجيل أمرهم بالتّصديق بهما و أنّهما من عند اللّه، و قال الجبائي وغيره أنّ ذلك خطاب لجميع المؤمنين الّذين هم مؤمنون علىٰ الحقيقة ظاهراً أو باطناً أمرهم اللّه أن يؤمنوا به في المستقبل بأن يستديموا الإيمان و لا ينتقلوا عنه لأنّ الإيمان الّذي هو التّصديق لا يبقىٰ و أنّما يستمّر بأن يجدده الإنسان حالاً بعد حال.

و قال الطّبري، أنّ ذلك خطاب لأهل اليهود والنّصارىٰ أمرهم اللّه بأن يؤمنوا بالنّبي و الكتاب الّذي أنزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكُتب التّوراة و الإنجيل و يكون وجه أمرهم بالتصدّيق لهما و أن كانوا مصدّقين بهما لأحد أمرين:

أحدهما: أنّ التّوراة والإنجيل إذا كان فيهما صفات النّبي صلى الله عليه وآله و ما ينبئ عن صدق قوله و صحّة نبوّته فمن لم يصدّق النّبي ولم يصدّق الكتاب الّذي أنزل معه لا يكون مصدّقاً بما معه لأنّ في تكذيب ما معه من التّوراة و الإنجيل فيجب عليه أن يصدّق النّبي ويُقرّ بما أُنزل عليه ليكون مصّدقاً بما معه و معترفاً به.

الثّاني: أن يكون متوجهاً الىٰ اليهود الّذين آمنوا بالتّوراة دون الإنجيل و القرآن فيكون اللّه أمرهم بالإقرار بمحّمدٍ وبما أنزل من قبل يعني الإنجيل و ذلك لا يصّح إلاّ بالإقرار بعيسىٰ عليه السلام أيضاً وأنّه نبّي من قبل اللّه انتهىٰ كلامه ملخصاً.

أقول ما ذكره الطّبري لا بأس به إلاّ أنه من قبيل الأكل من القفا و قال صاحب الكشّاف الخطاب للمسلمين ومعنىٰ آمنوا، إثبتوا علىٰ الإيمان و دوموا عليه و إزدادوه و قال في قوله: **وَ ٱلْكِتٰابِ ٱلَّذِىٓ أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ** المراد به جنس ما أنزل علىٰ الأنبياء وقبله من الكتب والدّليل عليه قوله: **وَ كُتُبِهِ** ثمّ قال و قيل الخطاب لأهل الكتاب لأنّهم آمنوا ببعض الكتب والرّسل وكفروا ببعضٍ، أقول الحقّ أنّ الآية خطاب لجميع المؤمنين الّذين آمنوا باللّه و رسوله و أنّما أَمَرهم بالإيمان ثانياً فقال: **اٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ** الخ.

لأنّهم زعموا أنّ الإيمان باللّه ورسوله يكفي ولم يعلموا أنّ الإيمان بالأنبياء السّلف و ما أنزل عليهم أيضاً لازم فقال تعالىٰ: آمنوا باللّه ورسوله محمّد صلّى الله عليه وآله والكتاب الّذي أنزل علىٰ رسوله و هو القرآن والكتاب الّذي أنزل من قبل علىٰ الأنبياء من التّوراة و الإنجيل و الزّبور و غيرها فاللّه تعالىٰ اخبر المؤمنين باللّه و رسوله محمّد صلّى الله عليه وآله أنّ الإيمان بجميع ذلك ممّا لا محيض عنه و يدّل عليه قوله تعالىٰ في أوائل سورة البقرة:

قال اللّه تعالى: **وَ ٱلَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِمآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ مآ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**[1].

قال اللّه تعالى: **قُولُوٓا اٰمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مآ أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَ مآ أُنْزِلَ إِلىٰٓ إِبْرٰاهيمَ وَ إِسْمٰاعيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ ٱلْأَسْبٰاطِ وَ مآ أُوتِىَ مُوسىٰ وَ عيسىٰ وَ مآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**[2].

قال اللّه تعالى: **قُلْ اٰمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مآ أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَ مآ أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْرٰاهيمَ وَ إِسْمٰاعيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ ٱلْأَسْبٰاطِ وَ مآ أُوتِىَ مُوسىٰ وَ عيسىٰ وَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**[3].

١- البقرة =٤   ٢- البقرة =١٣٦

٣- آل عمران =٨٤

قال اللّه تعالى: **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا**(١).

قال اللّه تعالى: **وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ كَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا**(٢).

فأنّ هذه الأيات يفسّر بعضها فلا نحتاج الىٰ ما إحتملوه من التّكلفات في فهم المراد من الأية.

و قد رُوي أنّ عبد اللّه بن سلام وأسد وأُسيد وأتباعهم أتوا الرّسول صلّى الله عليه وآله و قالوا يا رسول اللّه إنّا نؤمن بك وبكتابك وموسىٰ والتّوراة وعُزير ونكفر بما سواه من الكُتب والرّسل فقال عليه السلام بل آمِنوا باللّه ورسوله محمّد وكتابه القرآن وبكلّ كتابٍ كان قبله فقالوا لا نَفعل فنزلت فآمِنوا كلّهم ولذلك قال **وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَ مَلاۤئِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلًا بَعِيدًا** فأنّ قوله تعالىٰ: **وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ** بلفظ الجمع دليل علىٰ ما ذكرناه و الحاصل أنّ الإيمان الحقيقي لا يحصل إلاّ بالجميع والكُفر يحصل بإنكار واحدٍ من الرّسل والكُتب لأنّ الواحد بمنزلة إنكار الجميع و قوله فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً، إشارة الىٰ أنّ الكفر باللّه وملائكته ورُسله واليوم الأخر مُوجبٌ لِضلالة صاحبه وبُعده عن الحقّ وتجاوزه عن محجّة الطّريق الىٰ المهالك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لاٰ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا قيل في معنىٰ الآية أقوال:

١- النّساء =١٥٠
٢- النّساء =١٥٢

أحدها: ما ذهب اليه قتادة قال عني بذلك الّذين آمنوا بموسىٰ ثمّ كفروا بعد ذلك وعبدوا العجل ثمّ آمنوا يعني النّصارىٰ بعيسىٰ ثمّ كفروا به ثمّ إزدادوا كفراً بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله.

ثانيها: ما ذهب اليه الزّجاج و الفرّاء، و هو أنّهم آمنوا بموسىٰ و كفروا بعزير ثمّ آمنوا بعزير ثمّ كفروا بعيسىٰ ثمّ إزدادوا كفراً بمحمّد صلّى الله عليه وآله.

ثالثها: ما ذهب اليه مجاهد وإبن زيد قالا يعني بذلك أهل النّفاق أنّهم آمنوا ثمّ إرتدّوا ثمّ آمنوا ثمّ إرتدّوا ثمّ إزدادوا كفراً بموتهم علىٰ كفرهم

رابعها: قال أبو العالية هم اليهود والنّصارىٰ أذنبوا ذنباً في شركهم ثمّ تابوا فَلم تُقبل تَوبتهم ولو تابوا من الشّرك تقبل منهم قال الشّيخ في التبيّان بعد نقله هذه الأقوال وأقوىٰ الأقوال عندنا قول مجاهد لأنّ المؤمن علىٰ الحقيقة عندنا لا يجوز أن يكفر لأنّ الإيمان يستّحق عليه الثّواب الدّائم والكفر يستّحق عليه العقاب الدّائم والإجماع بخلافه انتهىٰ كلامه.

و تَبَعه الطّبرسي في المجمع و قال و فى هذه الآية دلالة علىٰ أنّ آية المتقدمة نزلت في شأن المنافقين و أنّه الأصّح من الأقوال المذكورة انتهىٰ.

أقول ما إختارهما الشّيخان من أنّ الآية نزلت في شأن المنافقين لا بأس به لأنّه أحد الأقوال في المسألة و أمّا إستدلال الشّيخ علىٰ مدّعاه و هو أنّ المؤمن علىٰ الحقيقة عندنا لا يجوز أن يكفر الىٰ آخر كلامه لا نفهم معناه و ذلك لأنّه إن أراد بعدم الجواز عدم الجواز عقلاً بمعنىٰ إمتناعه فهو كما ترىٰ إذ أيّ إمتّناع في إرتداد المؤمن عقلاً و التّعليل بأنّ الإيمان يستّحق عليه الثّواب الدّائم والكُفر يستّحق عليه العقاب الدّائم، عليل جدّاً إذ لم يدّل عليه دليل عقلاً و نقلاً فلو كان هناك دليل لوجب عليه بيانه فأنّ العقل يحكم بإستحقاق الثّواب مادام كونه مؤمناً و بإستحقاق العقاب مادام كونه كافراً أمّا بعد الإنتقال من الإيمان الىٰ الكفر أو بالعكس فلا يستّحق الثّواب الدّائم والعقاب الدّائم بل يستّحق الثّواب و العقاب بالنّسبة الىٰ زمان إيمانه و كفره و مدّة تلبسّه بواحدٍ منهما مثلاً إذا فرضنا أنّ زيداً آمن باللّه و برسوله و بجميع ما جاء به الرّسول و

عمل بمقتضىٰ إيمانه مدّة ثمّ كفر باللّه و برسوله بقيّة عمره أو مدّة منه فالعدل يقتضي إستحقاقه للثّواب بالنسّبة الىٰ مدّةٍ كان متّصفاً بالإيمان إعتقاداً و عملاً و إستحقاقه للعقاب في زمان كفره و ذلك لعموم قوله تعالىٰ: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** فقوله لو أضرنا الإرتداد بعد الإيمان الحقيقي لأدىٰ الىٰ إجتماع إستحقاق الثّواب الدّائم و العقاب الدّائم، يتّم بناءً علىٰ أصله و هو أنّ الإيمان يستّحق عليه الثّواب الدّائم والكفر يستّحق عليه العقاب الدّائم، ولم يثبت لنا هذا الأصل وعلىٰ المدّعىٰ الإثبات و الحاصل أنّ إستحقاق الثّواب والعقاب يدور مدار الإيمان و الكفر وجوداً و عدماً اذا عرفت هذا فنقول.

إن قلنا أنّ الآية نزلت في المنافقين فالمعنىٰ أنّ الّذين أمنوا من المنافقين في ظاهر الأمر ثمّ كفروا بعد ذلك ثمّ أمنوا ثانياً بعد الكفر ثمّ كفروا و إزدادوا فيه لم يكن اللّه ليغفر لهم وليهديهم سبيلاً، و ذلك إمّا لكونهم كالمستهزئين باللّه و برسوله و أمّا لأنّهم إرتّدوا مرّتين.

و إمّا قوله: **لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** فقالوا في معناه لم يكن اللّه ليغفر لهم بالإيمان الثّاني الكفر المتّقدم لأنّه لمّا إرتّدوا فيما بعد دلّ علىٰ أنّ ما تقّدم لم يكن إيماناً فلا يستّحق غفران عقاب الكفر المتّقدم.

و قيل معناه لم يكن اللّه ليغفر لهم اذا لم يتوبوا منه، قاله الشّيخ في التّبيان ثمّ حكم بعدم صحّة القول الثّاني بأنّ الكفر علىٰ كلّ حالٍ ولو مرّةً واحدة لا يغفر اللّه إلاّ بالتّوبة فلا معنىٰ لنفي الغفران عن كفرٍ بعد إيمانٍ تقّدمه كفر تَقّدمه إيمان، و اذا كان كذلك فالقول الأوّل هو المختار عنده وقوله: **وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا** أي لا يهديهم سبيل الجنّة والثّواب فيها لأنّهم غير مستّحقين له أو أنّه تعالىٰ لا يلطف لهم فيما بعد بل يخذلهم عقوبةً لهم علىٰ كفرهم المتّقدم هكذا قيل والحق في المعنىٰ هو أنّ اللّه تعالىٰ يكلهم الىٰ أنفسهم و لا يوّفقهم الىٰ طريق الحقّ و من وكله اللّه الىٰ نفسه فقد خسر خسراناً مبيناً واللّه أعلم.

■

بَشِّرِ ٱلْمُنٰافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاٰبًا أَلِيمًا ‹١٣٨› ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا
‹١٣٩› وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتٰابِ أَنْ إِذٰا
سَمِعْتُمْ اٰيٰاتِ ٱللّٰهِ يُكْفَرُ بِهٰا وَ يُسْتَهْزَأُ بِهٰا فَلاٰ
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِٓ
إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ ٱللّٰهَ جٰامِعُ ٱلْمُنٰافِقِينَ وَ
ٱلْكٰافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ‹١٤٠› ٱلَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللّٰهِ قٰالُوٓا
أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كٰانَ لِلْكٰافِرِينَ نَصِيبٌ
قٰالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَ لَنْ
يَجْعَلَ ٱللّٰهُ لِلْكٰافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا
‹١٤١› إِنَّ ٱلْمُنٰافِقِينَ يُخٰادِعُونَ ٱللّٰهَ وَ هُوَ
خٰادِعُهُمْ وَ إِذٰا قٰامُوٓا إِلَى ٱلصَّلٰوةِ قٰامُوا كُسٰالٰى
يُرٰآءُونَ ٱلنّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ ٱللّٰهَ إِلّٰا قَلِيلًا
‹١٤٢› مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لآَ إِلٰى هٰٓؤُلآَءِ وَ لآَ إِلٰى
هٰٓؤُلآَءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا
‹١٤٣› يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا ٱلْكٰافِرِينَ
أَوْلِيٰآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا
لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰانًا مُبِينًا ‹١٤٤› إِنَّ ٱلْمُنٰافِقِينَ فِى
ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنّٰارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ ٱعْتَصَمُوا
بِاللّٰهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ فَأُولٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَ سَوْفَ يُؤْتِ ٱللّٰهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾
مَا يَفْعَلُ ٱللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ
ٱللّٰهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

◁ اللّغة

أَيَبْتَغُونَ، الإبتغاء الطَّلب.
يَتَرَبَّصُونَ، التَّربُّص الإنتظار أي ينتظرون.
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ، الإستحواذ الغلبة أي ألم نغلب عليكم.
يُرَآءُونَ من الرِّياء و معناه واضح.
مُذَبْذَبِينَ، المُذبذَب المتَّردد و قيل المطّرود.

◁ الإعراب

وَ قَدْ نَزَّلَ بفتح النّون و الزّاي و تشديده على قراءة عاصم ويعقوب وبضّم النُّون و كسر الزّاى على قراءة غيرهما أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ أن هي المخفّفة من الثّقيلة أي أنّه اذا سمعتم أيات اللّه يُكْفَرُ بِهَا في موضع الحال من الأيات والتّقدير يكفر بها أحد فحذف الفاعل وأقام الجارّ مقامه والضّمير في معهم، عائد الى المحذوف إِنَّكُمْ اذاً هاهنا ملغاة لوقوعها بين الإسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ في موضع جرّ صفة للمنافقين و الكافرين و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي، هم، و يجوز أن يكون المبتدأ والخبر فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللّٰهِ في موضع نصب عن إضمار، أعني، عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ متّعلق بيجعل، و يجوز أن يكون حالاً من، سبيل وَ هُوَ خَادِعُهُمْ

و، كسالىٰ، حالان يُرَآءُونَ بالمَّد والتّخفيف الهَمَزة و يقرأ بحذف الألف و تشديد الهَمَزة أي يحملون غيرهم علىٰ الرّياء و موضعه نصب علىٰ الحال من الضّمير في، كُسالىٰ، و يجوز أن يكون بدلاً من كسالىٰ، و يجوز أن يكون مستأنفاً إِلَّا قَلِيلًا نعت لمصدرٍ محذوف أو زمانٍ محذوف مُذَبْذَبِينَ هو منصوب علىٰ الذّم أو حال من الضّمير في، يذكرون، والجمهور علىٰ فتح الذّال علىٰ ما لم يسمّ فاعله أي أنّ نفاقهم حملهم علىٰ التَّقلب و يقرأ بكسر الذّال الثّانية أي متَّقلبين، وليست الذّال الثّانية بدلاً عند البَصريين بل ذبذب، أصل بنفسه.

و قال الكوّفيون الأصل ذبب، فأبدل من الباء الأولىٰ ذالاً، و ذلك في موضع بينهما، أي بين الإيمان والكفر أو بين المسلمين واليهود لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ إلىٰ، يتّعلق بفعل محذوف أي لا ينتسبون الىٰ هؤلاء بالكلّيةالىٰ هؤلاء بالكلّية وموضع، لا الىٰ هؤلاء، نصب علىٰ الحال من الضّمير في مذبذبين أي يتّذبذبون متّلونين فِى ٱلدَّرْكِ بفتح الرّاء و إسكانها و هما لُغتان مِنَ ٱلنَّارِ في موضع الحال من الدَّرك العامل فيه معنىٰ الإستقرار و يجوز أن يكون حالاً من الضّمير في الأسفل إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ في موضع نصب إستثناء من الضّمير المجرور في قوله، ولن تجد لهم أو من قوله في الدَّرك، و قيل هو في موضع رفع بالإبتداء والخبر فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ما يفعل اللّه، ما للإستفهام في موضع نصب بيفعل بِعَذَابِكُمْ متّعلق بيفعل و قيل أنّ ما، نافية والتّقدير، ما يفعل اللّه بعذابكم، والمعنىٰ لا يعذّبكم.

◁ التّفسير

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا قال الرّاغب في المفردات، النَّفق الطَّريق النّافذ والسَّرب في الأرض النّافذ فيه و منه نافقاء اليربوع و قد نافق اليربوع و نفق و منه النَّفاق و هو الدّخول في الشّرع من باب والخروج عنه من

باب و علىٰ ذلك نبّه بقوله: **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**(١) أي الخارجون من الشّرع انتهىٰ كلامه.

اذا عرفت النّفاق ومعناه فأعلم أنّ النّفاق شرّ من الكفر ولذلك جعل اللّه تعالىٰ المنافقين شرّاً من الكافرين في كلامه فقال أنّ المنافقين في الدَّرك الأسفل من النّار ثمّ أنّه تعالىٰ جعل موضع بشارتهم لهم العذاب و ذلك لأنّ العرب تقول تحيّتك الضَّرب وجزاءك السَّيف قال الشّاعر:

و خيلٌ قد دَلَفت لها بخيلٌ ... تحيّته بينهم ضربٌ وَجيع

فأمر اللّه تعالىٰ نبيّه أن يبشر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً، و هو المؤلم المُوجع علىٰ نفاقهم ثمّ وصفهم بقوله: **ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** أي أنّهم يتّخذون أهل الكفر باللّه ورسوله أولياء يعني أنصاراً و أحلافاً من دون المؤمنين ثمّ قال: **أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** أو أنّهم يريدون بإتّخاذهم الكفّار أولياء كسب العِزة منهم ولم يعلموا أنّ العزّة للّه تعالىٰ وحده والكافر لا عَّزة له، و ذلك لأنّ العزّة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم أرض عزاز أي صلبة، و حيث أنّ الإنسان بل كلّ مخلوق فهو مغلوب و اللّه تعالىٰ هو القاهر فوق عباده فلا يغلب و لا يقهر أبداً فالعزّة مخصوصة به ولذلك قال: **فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** و ذلك أنّ العزّة منحصرة به تعالىٰ و لا عزّة لغيره أصالةً، فكلّ من إتّصف بها من الخلق لا يكون من قبل نفسه و ذاته بل يكون من قبل اللّه تعالىٰ و إعطاءها أيّاه و حيث أنّ الكافر بكفره صار مطروداً مغضوباً له تعالىٰ فليس له نصيب منها و من لاحظّ له من العزّة كيف يعطي غيره ما ليس له فأنّ معطي الشّئ لايكون فاقداً له عقلاً فالكافر لا عزّة له و لا قدرة له علىٰ إعطاء ما ليس له و هذا معنىٰ قوله: **أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ** فالإستفهام للإنكار، و أمّا المؤمن فلمّا جعل اللّه ولها لنفسه:

١- التوبة = ٦٧

قال اللّٰه تعالى: **اَللّٰهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ**(١).

قال اللّٰه تعالى: **إِنَّ وَلِيِّيَ اَللّٰهُ اَلَّذِي نَزَّلَ اَلْكِتٰابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى اَلصّٰالِحِينَ**(٢).

و أمثال ذلك من الأيات فلا جَرم أعطاه اللّٰه العِزّة:

قال اللّٰه تعالى: **وَ لاٰ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ اَلْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ**(٣).

قال اللّٰه تعالى: **وَ لِلّٰهِ اَلْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰكِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ**(٤).

والأيات كثيرة إذا عرفت ذلك فأعلم أنّه فرق بين العِزّة والتعزُّز وذلك لأنّ العِزّة لِلّٰه و أمّا التعزُّز فقد يكون في غيره حتّىٰ الكافر و قد قيل أنّه في الحقيقة ذُلّ لقوله صلى الله عليه وآله كلّ عزّ ليس باللّٰه فهو ذلٌّ:

قال اللّٰه تعالىٰ: **بَلِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقٰاقٍ**(٥).

قال اللّٰه تعالىٰ: **وَ قٰالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّٰا لَنَحْنُ اَلْغٰالِبُونَ**(٦).

فالمراد بالعزّة في هذه الأيات هو التعزُّز و هو الذّلة والحقارة في صورة العزّة قال الصّادق عليه السلام من أخرجه اللّٰه من ذلّ المعاصي الىٰ عزّ التّقوىٰ، أغناه من غير مال و أعزّه من غير عشيرة آنسه من غير بشرٍ.

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي اَلْكِتٰابِ أَنْ إِذٰا سَمِعْتُمْ اٰيٰاتِ اَللّٰهِ يُكْفَرُ بِهٰا وَ يُسْتَهْزَأُ بِهٰا

١- البقرة =٢٥٧
٢- الأعراف =١٩٦
٣- يُونس =٦٥
۴- سورة المنافقون آية ٨
۵- ص (٢)
۶- الشّعراء =۴۴

قال المفسّرون أنّ المشركين كانوا في مجالسهم يخوضون في ذكر القرآن و يستهزؤن به فأنزل اللّه تعالىٰ: **وَ إِذٰا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ اٰيٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**[1].

و هذه الآية نزلت بمكّة ثمّ أنّ أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين والقاعدون معهم والموافقون لهم علىٰ ذلك الكلام هم المنافقون فقال تعالىٰ مخاطباً للمنافقين أنّه: **وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتٰابِ أَنْ إِذٰا سَمِعْتُمْ اٰيٰاتِ ٱللّٰهِ يُكْفَرُ بِهٰا وَ يُسْتَهْزَأُ بِهٰا** والمعنىٰ إذا سمعتُم الكفر بآيات اللّه والإستهزاء بها: **فَلاٰ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ** أي حتّىٰ يخوضوا في حديثٍ غير الكفر والإستهزاء: **إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ** والمعنىٰ أنتم أيّها المنافقون المستمعون لما يقولون إذا مثل أولئك الأحبار في الكفر ولذلك قيل من رضي بفعل قومٍ فهو منهم، فالرّاضي بالكفر كافر و من رضي بمُنكرٍ يراه و خالط أهله و أن لم يُباشر كان في الإثم بمنزلة المباشر و الدّليل علىٰ ما ذكرناه هو أنّه تعالىٰ ذكر لفظ المثل ها هنا، وحكم الأمثال واحد، هذا إذا كان الجالس و المستمع راضياً بذلك و أمّا إذا كان ساخطاً لقومهم و مجلسهم و أنّما جلس علىٰ سبيل التّقية والخوف فالأمر ليس كذلك و لأجل هذه الدّقيقة نقول بأنّ المنافقين الّذين كانوا يجالسون اليهود وكانوا يطعنون في القرآن والرّسول، كانوا كافرين مثل أولئك اليهود و أمّا المسلمون الّذين كانوا بالمدينة و أن كانوا بمكّة يجالسون الكفّار الّذين كانوا يطعنون في القرآن فأنّهم كانوا باقين علىٰ الإيمان، والفرق واضح لأنّ المنافقين كانوا في مجالستهم الكفّار مختارين وهذا بخلاف المسلمين الّذين كانوا يجالسون الكفّار بمكّة فأنّ مجالستهم لهم كانت عند الضّرورة هكذا قالوا ولقائلٍ أن يقول أيّة ضرورةٍ دعت المسلمين الىٰ مُجالسة الكفّار بمكّة والحقّ أنّ مجالستهم لِهؤلاء كانت

١- الأنعام =٦٨

علىٰ طريق التّقية و إذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالتّقية واجبة في موضعها كما تقول به الشّيعةالمطلوب.

ثمّ قال تعالىٰ علىٰ سبيل التّهديد والوعيد **إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْـمُنَٰفِقِينَ وَ ٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**.

و ذلك لأنّهم أي الكافرين والمنافقين إجتمعوا علىٰ الإستهزاء بأيات اللّه في الدّنيا فلا جرم يجتمعون في عذاب جهنّم يـوم القـيامة أيـضاً لأنّ الدّنـيا مَزرعة الأخرة.

قال بعض المفسّرين، أراد اللّه تعالىٰ، جامعٌ، بالتّنوين لأنّه بعد ما جمعهم و لكن حذف التّنوين إستخفافاً من اللّفظ و هو مرادٌ في الحقيقة.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ
التّربص الإنتظار أي أنّ الذّين ينتظرون بكم أيّها المؤمنون فأن فتح اللّه عليكم فتحاً وأفاء عليكم فيئاً من الغنائم قالوا لكم ألم نكن معكم نجاهدُ عـدّوكم و نغزوهم معكم فأعطونا من الغنيمة فأنّا شهدنا القتال **وَ إِنْ كَانَ لِـلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** أي و أن كان الكافرين حظٌّ ونصيبٌ في قتالهم للمؤمنين بأن أصابتهم غنيمة قالوا لهـؤلاء الكفّار ألم نغلب عليكم أو ألم نبّين لكم إنّا علىٰ ما أنتم عليه و نمنعكم مـن المؤمنين.

و أنّما قالوا ذلك للمؤمنين والكفّار لأنّ المنافق من شأنه أن يكون كذلك ألا ترىٰ أنّ اللّه يقول في شأنهم **وَ إِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَـنَّا وَ إِذَا خَـلَوْا إِلَـىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ**(١) ويـذلك ظَـهَر لك أنّ الآيـة نزلت في المنافقين فأنّهم كانوا كما وصفهم اللّه ثمّ قال تـعالىٰ: **فَٱللَّهُ يَحْكُمُ**

١- البقرة =١٤

بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ ٱللّٰهُ لِلْكٰافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا أي أنّه تعالىٰ يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحقّ وينصر المؤمنين و لا يجعل للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلاً، بالقهر والغلبة إن حملناه علىٰ الأخرة و أمّا أن حملناه علىٰ الدّنيا فالمعنىٰ لا سبيل لهم عليهم بالحجّة و إن جاز أن يغلبوهم بالقوّة وذلك لأنّ المؤمن منصورٌ حجّةً و دلالةً ونقل عن بعضهم أنّه قال يجوز حمل ذلك علىٰ الغَلَبة لأنّ غلبة الكفّار للمؤمنين لَيس ممّا فعله اللّه لقبحه و هو تعالىٰ لا يفعله و ليس كذلك غلبة المؤمنين للكفّار لأنّه حسن وطاعة فكان ذلك منسُوباً اليه تعالىٰ.

و في المقام قول ثالث: و هو أنّه عامّ في الكُلّ إلاّ ما خصّه الدّليل **إِنَّ ٱلْمُنٰافِقِينَ يُخٰادِعُونَ ٱللّٰهَ وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ** الخداع في الأصل إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمرٍ يبديه علىٰ خلاف ما يُخفيه قاله الرّاغب في المفردات،

وقال بعضهم، الخادع الفاسد من الطّعام و من كلّ شيءٍ قال الشّاعر:

طيّبُ الرّيق اذا الرّيق خَدَع

أي تغيّر وفسد قال أبو عبيدة، يخادعون بمعنىٰ يخدعون قال الشّاعر:

وخـادَعت المَـنيّة عـنك سـرّاً فـلا جَـزَع الأوان ولا رَوايـا

أي و خدعت المنيّة، و قيل أنّ المفاعلة و أن كانت تكون من أثنين من كلّ واحدٍ منهما لصاحبه مثل ضاربت و قاتلت إلاّ أنّه قد ورد مثل هذا الوزن، فاعل بمعنىٰ فعل، مثل قاتله اللّه، و طابقت النّعل، و عافاه اللّه وغير ذلك ثمّ أنّهم إختلفوا في معنىٰ خداعهم للّه تعالىٰ علىٰ أقوال:

أحدها: أنّهم أظهروا بلسانهم من القول خلاف ما في قلبهم من الشكّ و التّكذيب.

الثّاني: أنّهم كانوا يخادعون النّبي صلّى الله عليه وآله لأنّ طاعته طاعة اللّه ومعصيته معصيته كما قال: **وَ إِنْ يُرِيدُوٓا أَنْ يَخْدَعُوكَ**[1].

١- الأنفال =٦٣

الثّالث: أنّهم يعملون عمل المخادع كما يقال فلان يسخر من نفسه.
و أمّا قوله: **وَ هُوَ خٰادِعُهُمْ** ففيه أيضاً أقوال:
أحدها: أنّه تعالىٰ يجازيهم علىٰ خداعهم فسمّي الجزاء بإسم الشّئ للإزدواج كما قال: **وَ جَزٰآؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهٰا**(١) والجزاء ليس بسيّئة و قال تعالىٰ: **وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اَللّٰهُ**(٢) واللّه لا يمكر غير أنّه يجازي عليه.
الثّانى: ما حكم اللّه فيهم من منع دمائهم بما أظهروه من الإيمان بلسانهم مع علمه بباطنهم وإعتقادهم الكفر إستدراجاً منه لهم في الدّنيا حتّىٰ يلقوه يوم القيامة فيوردهم بما أبطنوهم نار جهنّم.
الثّالث: ما نقل عن السّدي و هو أنّه تعالىٰ يعطيهم نوراً يوم القيامة يمشون به مع المسلمين كما كانوا في الدّنيا ثمّ يسلبهم ذلك النُّور ويضرب بينهم بسور فذلك هو الخداع منه وبه قال ابن جريح والحسن و غيرهم من المفسّرين **وَ إِذٰا قٰامُوٓا إِلَى اَلصَّلٰوةِ قٰامُوا كُسٰالىٰ يُرٰآءُونَ اَلنّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اَللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً** والمعنىٰ أنّ المنافقين لا يعملون شيئاً من أعمال العبادات علىٰ وجه القربة الىٰ اللّه لأنّهم غير موقنين بقلوبهم، كما أنّهم لا يريدون عليها ثواباً أو عقاباً بعدم إعتقادهم بها و أنّما يفعلون ذلك إبقاءً علىٰ أنفسهم وحذراً من المؤمنين أن يقتلوهم و يسلبوا أموالهم فهم اذا قاموا الىٰ الصّلاة قاموا كسالىٰ اليها أي متثاقلين متبطئين، و هو معنىٰ الكسل في اللّغة و سببه أنّهم يستثقلون الصّلاة أوكلّ عبادةٍ في الحال و لا يرجون منها ثواباً و لا من تركها عقاباً فالدّاعي الىٰ الفعل منهم ليس إلاّ خوف النّاس و هذا هو الرّياء في قوله: **يُرٰآءُونَ اَلنّٰاسَ** فأنّ الرّياء عبارة عن إتيان الفعل لا بقصد القربة والمرائي كذلك:

قال الّه تعالىٰ: **اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰآؤُنَ.وَ يَمْنَعُونَ اَلْمٰاعُونَ**(٣).

١- الشورى = ۴۰ ٢- آل عمران = ۵۴
٣- الماعون =۶/۷

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئآءَ ٱلنّاسِ وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَ رِئآءَ ٱلنّاسِ**(٢).

و قد وردت أخبار كثيرة في ذمّ الرّياء و أمّا قوله: **وَ لا يَذْكُرُونَ ٱللّهَ إِلّا قَلِيلًا** فمعناه يذكرون اللّه قليلاً لأنّ الإستثناء من المنفي يفيد الإثبات و بالعكس بالعكس.

ثمّ أنّهم إختلفوا في معنىٰ المراد فقال قوم أريد بالقلّة في المقام العَدم أي لا يذكرون اللّه أصلاً و هو كما ترىٰ ذلك لأنّه ينافي الإستثناء، و قيل وصفهم بقلّة الذّكر لأنّهم لا يقصدون به وجه اللّه و لا التّقرب اليه لا أنّ شيئاً من ذكر اللّه يُوصف بأنّه قليل بل يوصف جميعه بأنّه كثير.

و قيل وصفه بالقلّة لأنّه كان لغير اللّه، و قال قتادة لأنّه لم يَقبَله اللّه وكلّما ردَّه اللّه فهو قليل و ما قبله فهو كثير.

و قال الجبائي أنّما وصفه بالقلّة لأنّهم اذا قاموا الىٰ الصّلاة لم يذكروا غير تكبيرة الإحرام.

و قال بعض العامّة أنّ المراد بالذّكر في المقام الصّلاة والمعنىٰ أنّهم لا يصلّون إلاّ قليلاً و ذلك لأنّ المنافقين اذا كانوا مع النّاس فعند دخول وقت الصّلاة يتّكلفون حتّىٰ يصيروا غائبين عن أعين النّاس و أمّا اذا لم يكن معهم أحد لم يصلّوا رأساً.

و قال بعضهم لأنّهم قصدوا به الدّنيا و زهرتها و من المعلوم أنّ متاع الدّنيا قليل.

و قيل في الكلام حذف و تقديره و لا يذكرون عقاب اللّه وثوابه إلاّ قليلاً لإستغراقهم فى الدّنيا و غلبة الغفلة على قلوبهم، و لكلّ واحدٍ من هذه الوجوه وجه.

١- النّساء =٣٨ ٢- الأنفال =٤٧

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ لآ إِلَى هٰٓؤُلآَءِ وَ لآ إِلَى هٰٓؤُلآَءِ وَ مَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا

قوله: **مُذَبْذَبِينَ** فى موضع نصب علىٰ الحال والمعنىٰ أنّهم يقومون الىٰ الصّلاة متقلقلين متردّدين لا الىٰ هؤلاء أي لا الىٰ المؤمنين و لا الىٰ هؤلاء أي و لا الىٰ الكافرين، فلا يستحقّون الثّواب علىٰ أعمالهم اذ لا إيمان لهم قال اللّه تعالىٰ: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**[1] و لا يجاهرون بالكفر حتّىٰ يُعلم حالهم بل يكونون بين ذلك يظهّرون الإيمان فيجري عليهم حكم أهله و يبطنون الكُفر فيستحقّون به عقاب أهله و أصل التّذبذب التّحرك و الإضطراب قال النّابغة:

ألم تر أنّ اللّه أعطاك سورةً　　يرى كلّ ملكٍ دونها يتّذبذب

و قال المغربي، قوله: **مُذَبْذَبِينَ** أي مطرودين أي مطرودين من المؤمنين و من الكفّار، من الذّب الذّي هو الطّرد.

و قال ابن عمر عن رسول اللّه ﷺ، أنّ مثلهم مثل الشّاة الحائرة بين الغنمين تتحيّر فتنظر الى هذه و الى هذه لا تدري أيّها تتّبع، و حيث أنّ المنافق يكون كذلك فهو ضّال و لذلك قال تعالىٰ: **وَ مَنْ يُضْلِلِ ٱللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** أي من يضلله اللّه من طريق الحقّ أو طريق الجنّة فلن تجد له سبيلاً أي طريقاً اليهما.

و قيل معناه من يجد له عقوبة على معاصيه عن طريق الرّشاد ولم يوفّقه لحرمانه نفسه التّوفيق بسوء إختياره فلن تجد له طريقاً الىٰ الحقّ و عليه فمعنى إضلال اللّه حرمانه التّوفيق أي أنّ اللّه تعالىٰ لا يوفّق من كان كذلك لنفاقه بسُوء سريرته و ارادته و لمّا ابيّن اللّه تعالىٰ أحوال المنافقين خاطب المؤمنين فقال:

يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْكٰافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

نهاهم اللّه تعالىٰ أن يتّخذوا الكافرين أولياء و أنصاراً لأنفسهم من دون المؤمنين وهل المراد بالكافرين اليهود والنّصارىٰ أو المراد بهم المنافقون.

۱- المائده = ۲۷

قولان: فمن قال أنّ هذا الوصف من أوصاف المنافقين لما تقدّم ذمّهم بذلك قال نهى اللّه المؤمنين عن هذا الوَصف قالوا و كان الأنصار في بني قريظة رضاع و حلف و مودّة فقالوا لرسول اللّه صلى الله عليه وآله من نتولى فقال صلى الله عليه وآله المهاجرين.

و من قال هذا الوصف من أوصاف الكفّار لأنّ الكفّار بعضهم أولياء بعض فقال نهى اللّه المؤمنين عن إتّخاذهم أولياء و كيف كان في الآية دلالة علىٰ أنّ المؤمن لا يركن على الظّالم الكافر و لا يعتمد عليه في دينه و لا يتّخذه وليّاً من دون اللّه:

قال اللّه تعالىٰ: **ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**[1].

قال اللّه تعالىٰ: **لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَ يُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ**[2].

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا أي حجّة ظاهرة واضحة بموالاتكم الكافرين أو المنافقين والمقصود هو أنّ للّه تعالىٰ عليكم في ذلك الإتّخاذ حجّةٌ واضحة اذ قد بيّن لكم أحوالهم ونهاكم عن موالاتهم فقد تمّت الحجّة بذلك عليكم فلا عذر لكم غداً يوم القيامة.

و قال بعضهم المراد بالسّلطان هنا القهر والقدرة و المهنى أنّه يسلّط عليكم بسبب إتّخاذكم الكفّار أولياء.

قال الفرّاء، السُّلطان، أنث و ذكّر وبعض العرب يقول قضت به عليك السّلطان و قد أخذت فلاناً السُّلطان و التّأنيث عند الفصحاء أكثر انتهى فمن ذكّر ذهب

۱- البقرة =۲۵۷ ۲- آل عمران =۲۸

به الىٰ البرهان والإحتجاج و من أنَّث ذهب به الى الحجّة و أنّما إختير التّذكير هنا في الصّفة و أن كان التّأنيث أكثر لأنّه وقع الوصف فاصلة فهذا هو المرجّح للتّذكير علىٰ التّأنيث و قال ابن عطيّة التّذكير أشهر و هو لغة القرأن حيث وقع و هذا مخالف لما قاله الفرّاء، و اذا سُمّي به صاحب الأمر فهو علىٰ حذف مضاف و التّقدّير ذو السُّلطان أي ذو الحجّة علىٰ النّاس اذ هو مدّبرهم و النّاظر في مصالحهم و منافعهم.

و قال الزّمخشري في معنى الكلام، أي لا تتَّشبهوا بالمنافقين في إتّخاذهم اليهود و غيرهم من أعداء الإسلام أولياء، سلطاناً، حجّة بيِّنة يعني أنّ موالاة الكافرين بيّنة عن النّفاق.

و قال الرّازي معناه **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا** على كونكم منافقين و المراد أتريدون أن تجعلوا لأهل دين اللّه و هم الرّسول و أمّته، و إن حملنا الآية الأولى علىٰ المنافقين كان معنىٰ أتريدون أن تجعلوا للّه عليكم في عقابكم حجّة بسبب موالاتكم المنافقين.

ثمّ قال: **إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ** قرأ الدَّرك بفتح الرّاء و سكونها قال أبو علّي و هُما لُغتان كالسَّمع و السّمع و إختار بعضهم الفتح لقولهم في الجمع أدراك كجمل و أجمال يعني أنّه ينقاس في فعل، أفعال و لا ينقاس في، فعل، و ذهب عاصم، الى أنّ الفتح أنّما هو علىٰ أنّه جمع دركة، كبقرة و بقر و قال الزّمخشري، و قرأ بسكون الرّاء والوجه التّحريك لقولهم أدراك جهنّم انتهىٰ.

و كيف كان المراد بالدَّرك الأسفل الطّبق الذّي في قعر جهنّم فأنّ النّار لها سبع دركات سمّيت بذلك لأنّها فتدركة مسابعة بعضها فوق بعضٍ.

و قال اللّيث الدَّرك أقصى قعر الشّئ كالبحر ونحوه فعليه المراد بالدّرك الأسفل أقصى قعر جهنّم.

قال الضّحاك الدّرج اذا كان بعضها فوق بعضٍ والدَّرك اذا كان بعضها من بعضٍ و عن ابن عبّاس أنّه قال عليه‌السلام الدَّرَك لأهل النّار كما أنّ الدَّرج لأهل الجنّة.

و قال أبو عبيدة الدّركات الطّبقات و أصلها من الإدراك أي متداركة متلاحقة اذا عرفت هذا فإعلم أنّ الوجه في كون المنافق أشدّ عذاباً من الكافر هو أنّه مثله في الكفر واقعاً مضافاً الىٰ أنّ المنافق قد ضمّ الىٰ كفره الإستهزاء بالإسلام و أهله بخلاف الكافِر، أو لأنّه بسبب تظاهره بالإسلام يمكنه الإطّلاع علىٰ أسرار المسلمين ثمّ إختياره الكفّار بذلك ولذلك قال تعالىٰ: **وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** أي لن تجد لهؤلاء المنافقين نصيراً و معيناً يرُّد عنهم العذاب أو يشفع لهم والإتيان بكلمة، لَن، التّي لنفي الأبد للدّلالة علىٰ أنّ المنافقين لا نصير لهم أبداً فلا يخفّف عنهم العذاب كذلك.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ ٱعْتَصَمُوا بِـاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

إستثنىٰ اللّه تعالى عنهم التّائبين من نفاقهم اذا أصلحوا نيّاتهم و إعتصموا باللّه و أخلصوا الدّين و تبرّأوا من الكفّار والأنداد والنّفاق و المراد بالإعتصام تمسّكهم بكتاب اللّه و تصدّيقهم رسله فاذا فعلوا ذلك يكونون مع المؤمنين في الجنّة و محلّ الكرامة و يسكنهم اللّه مساكنهم و ما وعدهم من الجزاء و سوف يؤتي اللّه المؤمنين أجراً عظيماً.

قالوا تقدير الآية أنّ الّذين راجعوا الحقّ و أقرّوا بوحدّانيته و تصدّيق رسوله و ما جاء من عند اللّه و أصلحوا أعمالهم و عملوا بما أمرهم اللّه به و أدُّوا فرضه و إنتهوا عمّا نهاهم اللّه عنه و إنزجروا عن معاصيه و تمسّكوا بعهد اللّه و ميثاقه فيقطعون حينئذٍ أنّه تعالىٰ يؤتي المؤمنين أي يعطيهم أجراً يعني ثواباً عظيماً و درجات في الجنّة كما أعطى من مات علىٰ النّفاق منازل في النّار في

أسفل طبقاتها و هذه الجملة قول حذيفة ابن اليمان و جميع المفسّرين هكذا قال الشّيخ في التّبيان.

أقول لمّا كان المنافق متّصفاً بنقائض هذه الأوصاف من الكفر في الباطن و فساد الأعمال النّاشئة منه والموالاة للكافرين و الإعتزاز بهم والمراءاة للمؤمنين شرط في توبتهم ما يناقض تلك الأوصاف و هى التّوبة من النّفاق المحتوي على بقيّة الأوصاف من حيث المعنىٰ ثمّ فصّل ما أجمل فيهاالإصلاح للعمل المستأنف المقابل لفساد أعمالهم الماضية ثمّ الإعتصام باللّه في المستقبل و هو المقابل لموالاة الكافرين والإعتماد عليهم في الماضي، ثمّ الإخلاص لدين اللّه و هو المقابل للرّياء الذّي كان لهم في الماضي.

ثمّ بعد تحصيل هذه الأوصاف جميعها أشار اليهم بأنّهم مع المؤمنين ولم يحكم عليهم بأنّهم المؤمنون و لا من المؤمنين و أن كانوا قد صاروا مؤمنين تنفيراً ممّا كانوا عليه من عِظم كفر النّفاق وتعظيماً لحال من كان متلبساً به و معنى مع المؤمنين أنّهم رفقاؤهم و مصاحبوهم في الدّارين ثمّ أنّ قوله: **إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا** مستثنىٰ من قوله: **فِى ٱلدَّرْكِ** و قيل من قوله: **وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ** و قيل هو مرفوعٍ على الإبتداء، والخَبَر فأولئك.

مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ ءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا.

قال بعض المفسّرين معنىٰ الآية أيّها المنافقون أن أنتم تُبتُم الىٰ اللّه و راجعتم الحقّ الواجب عليكم و شكرتم اللّه على نعمه و أخلصتم عبادته و إعَصمتم به و تركتم رياء النّاس و أمنتم برَسوله محمّد صلى الله عليه وآله و صدَّقتم به و أقررتم بما جاء به من عند اللّه، ما يصنع بعذابكم، أي لا حاجة باللّه الىٰ عذابكم و جعلكم في الدَّرَك الأسفل من النّار لأنّه لا يجتلب بعذابكم نفعاً

يدفع عن نفسه ضرّاً لأنّهما مستحيلان عليه تعالىٰ، و كان اللّه شاكراً، يعني لم يزّل اللّه مجازياً للشّاكر علىٰ شكره في جميع عباده، عليماً.بما يستحقّونه علىٰ طاعاته من الثّواب و لا يضيع عنده شئ منه.

أقول لا خلاف في أنّه لا منفعة له في ذلك لأنّه تعالىٰ غنّي بالذّات عمّا سواه و أنّما خَلَق الخَلق حين خلقهم غنّياً عن طاعتهم أمِنا من معصيتهم لأنّه لا تنفعه طاعة من أطاعه كما لا تضّره معصية من عصاه و عليه.

فما، في قوله: **مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ** يمكن أن تكون إستفهاميّة في موضع نصب بفعل مقدّر و التّقدّير، أيّ شئ يفعل اللّه بعذابكم، والباء للسّبب، و يمكن أن تكون نافية كما ذهب اليه أبو البقاء قال، و المعنى ما يعذّبكم، يلزم أن تكون الباء زائدة وجواب الشّرط محذوف يدّل عليه ما قبله أي أن شكرتم و أمنتم فما يفعل بعذابكم و حيث أنّ الشّكر علىٰ الحقيقة لا يكون إلاّ مقترناً بالإيمان ذكر الايمان بعده تأكيداً و تنبيهاً على جلالة مَوقعه.

هذا أخر الكلام في تفسير الجزء الخامس و يتلوه الجزء السادس والحمد للّه.

■

الفهرست

سورة النسّاء ٩

الآية ٢٤ .... ٩
اللّغة ٩
الإعراب ١٠
التّفسير ١١
الآية ٢٥ .... ٢٨
اللّغة ٢٨
الإعراب ٢٩
التّفسير ٢٩
الآية ٢٦ .... ٣٥
اللّغة ٣٥
الإعراب ٣٥
التّفسير ٣٥
الآيات ٢٧ و ٢٨ .... ٣٦
اللّغة ٣٦
الإعراب ٣٦
التّفسير ٣٦
الآية ٢٩ .... ٤٤
اللّغة ٤٤

الإعراب ۴۴
التّفسير ۴۴
الآية ۳۰ ۴۹
اللّغة ۴۹
الإعراب ۴۹
التّفسير ۴۹
الآيات ۳۱ الى ۳۳ ۵۱
اللّغة ۵۱
الإعراب ۵۲
التّفسير ۵۳
الآية ۳۴ ۶۵
اللّغة ۶۵
الإعراب ۶۶
التّفسير ۶۷
الآيات ۳۵ ۸۱
اللّغة ۸۱
الإعراب ۸۱
التّفسير ۸۱
الآيات ۳۶ ۸۴
اللّغة ۸۴
الإعراب ۸۴
التّفسير ۸۵
الآيات ۳۷ الى ۴۲ ۱۰۰
اللّغة ۱۰۰
الإعراب ۱۰۱
التّفسير ۱۰۳

الآيات ٤٣ .... ١١٩
اللّغة ١١٩
الإعراب ١١٩
التّفسير ١٢٠
الآيات ٤٤ الى ٤٦ .... ١٤٤
اللّغة ١٤٤
الإعراب ١٤٤
التّفسير ١٤٥
الآية ٤٧ .... ١٤٩
التّفسير ١٤٩
الآيات ٤٨ الى ٥٠ .... ١٥٣
اللّغة ١٥٣
الإعراب ١٥٣
التّفسير ١٥٤
الآيات ٥١ الى ٥٣ .... ١٦٦
اللّغة ١٦٦
الإعراب ١٦٦
التّفسير ١٦٧
الآيات ٥٤ الى ٥٧ .... ١٧٤
اللّغة ١٧٤
الإعراب ١٧٥
التّفسير ١٧٥
الآية ٥٨ .... ١٩٢
اللّغة ١٩٢
الإعراب ١٩٢
التّفسير ١٩٣

الآية ٥٩ .... ١٩٧
اللّغة ١٩٧
الإعراب ١٩٧
التّفسير ١٩٧
الآيات ٦٠ الى ٦٣ .... ٢٢٣
اللّغة ٢٢٣
الإعراب ٢٢٣
التّفسير ٢٢٤
الآيات ٦٤ الى ٦٨ .... ٢٣٠
اللغّة ٢٣٠
الإعراب ٢٣٠
التّفسير ٢٣١
الآيات ٦٩ و ٧٠ .... ٢٤١
اللّغة ٢٤١
الإعراب ٢٤١
التّفسير ٢٤١
الآيات ٧١ الى ٧٥ .... ٢٥٢
اللّغة ٢٥٢
الإعراب ٢٥٣
التّفسير ٢٥٤
الآيات ٧٦ الى ٨٠ .... ٢٦٠
اللّغة ٢٦٠
الإعراب ٢٦١
التّفسير ٢٦١
الآيات ٨١ الى ٨٤ .... ٢٧٤
اللّغة ٢٧٤

الإعراب ٢٧٥
التّفسير ٢٧٥
الآيات ٨٥ الى ٨٨ .... ٢٨٤
اللّغة ٢٨٤
الإعراب ٢٨٥
التّفسير ٢٨٥
الآيات ٨٩ الى ٩٣ .... ٢٩٥
اللّغة ٢٩٦
الإعراب ٢٩٦
التّفسير ٢٩٨
الآيات ٩٤ الى ٩٦ .... ٣١٢
اللّغة ٣١٢
الإعراب ٣١٣
التّفسير ٣١٣
الآيات ٩٧ الى ١٠٤ .... ٣٢٠
اللّغة ٣٢١
الإعراب ٣٢٢
التّفسير ٣٢٢
الآيات ١٠٥ الى ١١٠ .... ٣٣٨
اللّغة ٣٣٨
الإعراب ٣٣٩
التّفسير ٣٣٩
الآيات ١١١ الى ١١٥ .... ٣٤٤
اللّغة ٣٤٤
الإعراب ٣٤٥
التّفسير ٣٤٥

الآيات ۱۱۶ الى ۱۲۶ ۳۵۴
اللّغة ۳۵۵
الإعراب ۳۵۵
التّفسير ۳۵۶
الآيات ۱۲۷ الى ۱۳۰ ۳۷۲
اللّغة ۳۷۲
الإعراب ۳۷۳
التّفسير ۳۷۴
الآيات ۱۳۱ الى ۱۳۷ ۳۸۰
اللّغة ۳۸۱
الإعراب ۳۸۱
التّفسير ۳۸۱
الآيات ۱۳۸ الى ۱۴۷ ۳۹۳
اللّغة ۳۹۴
الإعراب ۳۹۴
التّفسير ۳۹۵

■